المراهقة .. نظرة نقدية

د. فؤادة هدية ✪

إن المراهقة من الموضوعات التي نالت حظاً كبيراً من اهتمام العلماء في الكثير من التخصصات العلمية ؛ ولذا تصبح الكتابة عن المراهقة أمراً تحيطه بعض الصعوبات ، أولاً من حيث تناول أهم ما كتب ، وثانياً من حيث محاولة إيجاد إطار نظري يضم ذلك.

أهم ما يلفت الانتباه في موضوع المراهقة هو ما تثيره هذه الفترة من قلق لدى المهتمين بالتربية من ناحية و أيضاً أولياء الأمور من ناحية أخرى . وإذا حاولنا تقصي مصادر هذا القلق لاستطعنا أن نوجزه في أمرين أساسيين: أولهما يتمثل في أن المراهقة تبدأ بالبلوغ وما يتضمنه من صحوة جنسية .. ذلك الأمر الذي قد يثير بعض الخوف من قبل الراشدين المحيطين بالأبناء في مثل هذه السن ، وثانيهما ما يرتبط بهذه الفترة من سعي الفرد إلى تحقيق استقلاله الذاتي ورغبته في تكوين هويته الخاصة ، الأمر الذي قد يصبح إلى درجة ما مهدداً ، وخاصة حين يجهل أولياء الأمور أبعاد هذا السعي .

وكذلك من الأمور اللافتة للانتباه ما تحظى به هذه الفترة من سمعة سيئة بعض الشيء والتي ترجع في أغلبها إلى تسرب بعض الأفكار العلمية عن هذه المرحلة إلى الجمهور عبر وسائل الإعلام.

ولذا فسوف يكون العرض التالي محاولة لإلقاء الضوء على هذه الأمور في محاولة لإعادة فهم هذه المرحلة من النمو من ناحية ومن ناحية أخرى للدفاع عن الإنسان في هذه السن ، لعل في ذلك بعض الإنصاف.

وفي البداية سوف نعرض توجهات بعض مدارس علم النفس نحو النمو ، ومن ثم

✪ أستاذ علم النفس ، معهد دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس .

المراهقة بشيء من الإيجاز . وسوف تكون البداية بالطبع نظرية التحليل النفسي ، ومؤسسها سيجموند فرويد Freud . وفق هذه النظرية فإن النمو أساساً عملية لا شعورية مصبوغة بشدة المشاعر ، وإذا أردنا فهمه فعلينا أن نحلل المعاني الرمزية للسلوك والعمل الداخلي العميق للعقل ، كذلك يؤكد أصحاب هذه المدرسة على دور الخبرات المبكرة مع الوالدين في تشكيل عملية النمو.

ويرى سيجموند فرويد أن حياة المراهقين تكون مليئة بالتوتر والصراع ، ولتقليل ذلك يلجأ المراهق إلى الاحتفاظ بالمعلومات في عقلة اللاشعوري ، ويرى أيضاً أنه حتى الأشكال العادية من السلوك تكون دالة على القوى اللاشعورية ، ويؤمن فرويد بأن الأحلام هي تمثيلات لا شعورية للصراعات والتوترات التي يعاني منها المراهق في حياته اليومية ، ولذا ترجع أهميتها في تفسير سلوكه، و حيث إن التعامل الشعوري مع هذه الصراعات والتوترات يكون مؤلماً فهي تظهر في أحلام المراهق ، حيث تحمل مضامين ذات طبيعة رمزية، الأمر الذي يتطلب تحليلاً مكثفاً و دقيقاً .

ويطلق فرويد على مرحلة المراهقة مصطلح المرحلة التناسلية ، وهي تمثل المرحلة الخامسة من مراحل النمو طبقاً لنظريته ، وتبدأ هذه المرحلة بالبلوغ ، وهي مرحلة إعادة الصحوة الجنسية ، ويعتقد فرويد أن الصراعات التي لم يتم حلها مع الوالدين في المراحل السابقة يعود ظهورها مرة أخرى ، وعندما يتم حلها يصبح الفرد راشداً قادراً على إقامة علاقات حب ناضجة و معتمداً على نفسه .

وبالنسبة لإريك إريكسون Erik Erikson (1968) فالمراهقة هي المرحلة الخامسة أيضاً من النمو ، ويطلق عليها مرحلة الهوية ، حيث يعيش المراهق في هذه المرحلة أزمة تتمثل في اهتزاز مفاهيمه السابقة الخاصة بتصوره عن ذاته ، ويرى أنه على الشاب في هذه السن أن يعيد تشكيل ذاته من جذورها ، ويتجلى النجاح في هذه المرحلة في قدرة المراهق على اكتشاف هويته ، وإذا فشل فسوف يضيع في حالة ارتباك الدور.

بينما تركز المدرسة السلوكية على السلوك الظاهر ، ذلك الذي يمكن ملاحظته بشكل مباشر ومن ثم قياسه ، ولذا يؤكد أصحاب هذه المدرسة على أن النمو هو سلوك متعلم من خلال الخبرة مع البيئة. ويتفرع من هذه المدرسة اتجاهان : الأول اتجاه سكينر (B.F.Skinner) ، والثاني نظرية التعلم الاجتماعي.

و يعتقد سكينر أن النمو ما هو إلا سلوك متعلم ، وعادة ما يتغير تبعاً للخبرات البيئية، أي أنه يمكن للخبرات البيئية أن تغير مسار النمو .

في حين يؤمن أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي (Social Learning Theory) بأن النمو متعلم ويتأثر بالخبرات البيئية ، ولكنهم يعتقدون أن سكينر قد ذهب بعيداً عندما أكد أن الإدراك ليس مهماً في فهم النمو ، حيث يرى أصحاب هذه النظرية أن السلوك والبيئة و الإدراك هي مفاتيح عوامل النمو ، بمعنى أننا لا نستجيب بشكل ميكانيكي للآخرين في البيئة المحيطة ، أي أننا نفكر ونفسر ونتخيل ونخطط ، نتوقع ونؤمن ونقيم ونقارن ، وعندما يحاول الآخرون التحكم فينا فإن قيمنا ومعتقداتنا تحد من هذا التحكم.

ويؤكد باندورا (Bandura) أننا نتعلم من خلال ملاحظتنا لما يفعله الآخرون. فمن خلال التعلم القائم على الملاحظة نتمثل إدراكياً سلوك الآخرين ، ثم نتبنى بعد ذلك هذا السلوك ، أي أننا نكتسب مدى واسعاً من أشكال السلوك والأفكار والمشاعر من خلال ملاحظة الآخرين ، وتشكل ملاحظة سلوك الآخرين جانباً هاماً في نمونا .

أخيراً نشير إلى جان بياجيه (Jean Piaget) حيث تقابل مرحلة المراهقة مرحلة العمليات الشكلية – وفق نظريته – وفيها يتحرك المراهق بعيداً عن عالم الخبرات العيانية إلى عالم التفكير المنطقي المجرد ، كما يتميز تفكيره بالمرونة والقدرة على صياغة فروض عقلية ثم اختبارها .. أي أن أهم ما يميز هذه المرحلة – كما يراها بياجيه – هو قدرة المراهق على التفكير الافتراضي الاستنباطي والمثالي المتحرر من الواقع .

تبدأ المراهقة بالبلوغ ، ويقصد به تلك التغيرات الجسمية والفسيولوجية التي تحتل مكاناً في سن الثانية عشرة بالنسبة للبنات والرابعة عشرة بالنسبة للأولاد. يحدث ذلك بفعل زيادة إفراز الهرمونات . وتأخذ هذه التغيرات شكلاً دراماتياً ، بمعنى أن النمو يحدث في أجزاء الجسم بسرعة شديدة ، ويجد المراهق نفسه وقد فقد مكانته المستقرة كطفل ، في حين أنه لم يكتسب بعد مكانة جديدة تفرضها عليه عوامل النمو.

يكون أمام المراهق العديد من المهام التي يجب عليه إنجازها وعلى رأسها المهمة المتمثلة في اكتشافه لذاته ، وأيضاً يحتاج إلى أن يكون ويعزز هويته كشخص متفرد وناضج. ويؤكد ذلك إريك إريكسون حين يقول إن المراهقة تبدأ بثورة فسيولوجية – المتمثلة في النضج الجنسي – وثورة نفسية ؛ بسب عدم تأكد المراهق من أدواره القادمة كراشد ؛

مما يجعل من هذه المرحلة أكثر من مجرد مرحلة انتقالية ، بل هي في الحقيقة مرحلة تكوين وتشكيل أساسي للهوية.

إن نمو الهوية الذاتية هو جوهر الطبيعة الفردية للشخص ، وترجع أهميتها إلى تأثيرها في قدرة الفرد اللاحقة على إقامة علاقات الألفة الحقيقية والعميقة . ويبدأ نمو الهوية باهتمام المراهق الشديد باكتشاف طبيعته الفردية ، وتنتهي عندما يكون الفرد قد استطاع أن يكون إحساساً متماسكاً بذاته وهويته الشخصية ، تلك العملية التي عادة ما تكتمل في السن من الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين من العمر .

ولنا أن نتوقع أنه أثناء قيام المراهق بمثل هذه المهمة ، فإنه سوف يعاني قلقاً وألماً نفسياً ؛ مما قد يدفع من حوله إلى النظر إليه بشيء من الحيرة والريبة ، ولكننا نؤكد أن المراهق يكون مختلفاً في هذه السن بقدر اختلاف الطفل والراشد .

بل إن محاولة وسائل الإعلام التأكيد على أن المراهقين يهتمون بأشياء غريبة من الأزياء أو أنهم يشكلون لأنفسهم ثقافة خاصة هو من الأمور السطحية التي لا تحتل حيزاً كبيراً في هذه السن ، بل على المتخصصين أن يشجعوا الوالدين في التعرف وقبول التحديات والمهام الجديدة التي تشغل هؤلاء الراشدين الصغار الذين يعانون الحيرة والارتباك .

ومظهر آخر من مظاهر التحديات التي يواجهها الأبناء في هذه السن هو ما يتعلق ببزوغ وتشكل الهوية الجنسية . وعادة ما تنمو الإناث في سن مبكرة عن الذكور (ويستمر ذلك طوال الجدول الزمني للمراهقة) ، كذلك يختلف الأفراد فيما بينهم وبشكل ملحوظ في سن بداية البلوغ ، فيكون هناك بلوغ مبكر وآخر متأخر، بل قد تكون هناك فجوة بين طفل وآخر تصل أحياناً إلى أربع سنوات . فعلى سبيل المثال فإن سن بداية الدورة الشهرية لأول مرة للفتاة قد تختلف من فتاة إلى أخرى بفارق سنوات، وكذا في بقية مظاهر النمو الفسيولوجي.

يحدث النمو الفسيولوجي بفعل إفراز الغدد الصماء للهرمونات الجنسية الأستروجين (الأنثوي) والتستسترون (الذكري) ، ويخضع ذلك للغدة الصماء الأم ، وهي الغدة النخامية ، فحتى سن البلوغ تكون نسبة وجود هذه الهرمونات في الدم متساوية تقريباً لدى كل من الإناث والذكور . ونتيجة للتغيرات الهرمونية المصاحبة لعملية البلوغ تزيد الاستثارة الجنسية ، ويكون على كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التعامل مع ما ينتج عن هذه الزيادة الهرمونية من تأثيرات على المراهقين .

عادة ما تؤدي هذه التغيرات في الشكل والجسم والوظيفة الجنسية إلى تمركز المراهق حول ذاته في محاولة لاكتشاف هويته الجديدة ، وهو في أثناء ذلك قد يتأرجح بين الإعجاب الشديد بذاته (النرجسية) وكراهيته لها والتقليل من شأنها .

تعتمد الكيفية التي يدرك بها الصغار أنفسهم (في هذه السن) بدرجة كبيرة على الكيفية التي يدركهم بها الآخرون ، وفي الأغلب على ما يعتقدون أنها صورة الآخرين عنهم والتي يمكن أن تختلف عن الحقيقة . وتؤثر هذه الصورة المدركة على صورة المراهق عن نفسه ، بمعنى أنه إذا اعتقد المراهق أن صورة والديه عنه سلبية ، فسوف يشعر بعدم الأمان ، وسوف يعاني من انخفاض تقديره لذاته ، وحقيقة بأنه حين يؤمن الناس بالأشياء على أنها حقيقة فسوف تكون حقيقة في نتائجها ، من حيث تأثيرها على الذات .

رغم بعض المظاهر السلبية التي قد ترتبط بنمو الهوية ، فإنه وفي هذه المرحلة أيضاً تنمو جوانب إيجابية في الشخصية مثل الإيثارية والمثالية ، وفي النهاية تتكامل هذه المظاهر تدريجياً في شخصية المراهق ، ويكون حجر الزاوية في هذه المرحلة هو مدى تقدير المراهق لذاته ، الأمر الذي يعكس نفسه على توافقه السليم . ولكن عندما يكون هناك فجوة بين مفهوم المراهق عن ذاته وذاته المثالية تظهر علامات القلق والحساسية المفرطة.

وتستغرق فترة المراهقة من سبع إلى ثماني سنوات ، ينتقل خلالها الفرد تدريجياً من الطفولة إلى الرشد . وعادة ما يقسمها العلماء إلى ثلاث مراحل : المراهقة المبكرة، والوسطى ، والمتأخرة.

وتبدأ المراهقة المبكرة في حوالي سن العاشرة (تلك التي تتميز ببداية التغيرات الجسمية) ، وعادة ما يتزامن ذلك مع الانتهاء من التعليم الابتدائي ، بينما تبدأ المراهقة الوسطى في حوالي سن الرابعة عشرة إلى السابعة عشرة . و تتميز المراهقة الوسطى بانسحاب المراهق جزئياً من عالم والديه ؛ وذلك لإنجاز مهام سبق الإشارة إليها ، وهي تكوين الهوية الجنسية والوعي بالذات وكذلك بلورة اهتمامات تعليمية ومهنية ، الأمر الذي قد يدفع بالمراهق إلى التذبذب المزاجي والنرجسية والغضب وأحياناً الاكتئاب . أما المراهقة المتأخرة فهي المعبر إلى الرشد وتحقيق مهام مثل التوازن المزاجي والانفعالي والتغلب على التقلبات المزاجية الشائعة في المراهقة الوسطى .

المراهقة – رغم ذلك – ليست مرحلة مختلفة عن بقية مراحل نمو الإنسان ولا يحدث

النمو فيها فجأة ، بل على العكس ، فرغم المهام التنموية الجوهرية التي يكون على المراهق إنجازها ، فإن هذا يتم بشكل تدريجي ويكون سلساً في أغلب الأوقات.

وكثيراً ما يشعر أولياء الأمور بالقلق أثناء عبور أبنائهم إلى مرحلة الرشد ، وينظرون إلى سنوات المراهقة على أنها شيء عليهم تحمله أكثر من أنها سنوات يمكن الاستمتاع بها والمشاركة فيها. و يكون لديهم هاجس بأنهم قد يفقدون تلك العلاقة الحميمة التي تربطهم بأطفالهم ، و كذلك درجة التحكم والضبط التي يرونها هامة في التربية ، الأمر الذي قد يساهم في تحويل هذه المرحلة إلى مشكلة ، بمعنى أنه إذا توقع الأهل أن فترة مراهقة طفلهم سوف تكون مشكلة فبالضرورة سوف تصبح كذلك.

ولكن لا يجب أن يغفل الأهل أن المراهقة مرحلة تبدأ بالتغيرات البيولوجية ، ولكنها تنتهي بتغيرات اجتماعية و نفسية تتجلى في قدرة المراهق على تحمل المسئولية الاجتماعية والاعتماد على النفس. ومع تقدم المجتمعات وتعقدها أصبحت فترة المراهقة فترة طويلة نسبياً ، قد تمتد إلى عشر سنوات ، و قد ساهم ذلك في خلق مشكلة تتعلق بمتى يمكن أن يعتبر المجتمع الفرد (في مثل هذه السن) مسئولاً من قبل القانون أو التقاليد عن أفعاله ، أو قادراً على اتخاذ قرارات تتعلق بحياته الشخصية.

ورغم أن فترة المراهقة قد تكون مؤلمة لدى بعض الصغار ووالديهم ، فإنها ليست بالضرورة أن تكون كذلك ، وإن فكرة اختلاف هذه المرحلة من النمو عما يسبقها أو يلحقها من مراحل هي فكرة حديثة نسبياً تميز المجتمعات الحديثة، ففي المجتمعات البدائية والبسيطة يتم الانتقال من الطفولة إلى الرشد بسرعة وسلاسة ، وأحياناً يتم هذا الانتقال من خلال طقوس احتفالية يطلق عليها Rites of passages ، حيث تمثل هذه الطقوس الممر الذي يتقدم من خلاله الفرد نحو الممارسات المقدسة للحياة الراشدة والمعرفة والحياة الجنسية.

ولقد ساهمت العديد من الآراء العلمية في تعميق القلق المجتمعي حول هذه المرحلة. ففي دراسة العالم النفسي الشهير G. Stanelly Hall عن المراهقة وعلاقتها بالنواحي الفسيولوجية والأنثروبولوجية والاجتماعية رأى أن المراهقة مرحلة تتميز بالثورة الانفعالية والاضطرابات النفسية ، كذلك رأت Anna Freud (1958) أنه من غير الطبيعي أن يحتفظ الطفل بتوازن ثابت خلال هذه المرحلة ، وأن المظاهر المصاحبة لهذه المرحلة تقترب من تكوين الأعراض العصابية والتحلل الذهاني.

كذلك يميل المتخصصون في الطب النفسي إلى تناول المراهقة بشيء من العداء ، حيث يتركز انتباههم على الملامح العصابية أو الذهانية.

ولكي نصل إلى نظرة متوازنة عن المراهقة علينا أن نتذكر أن المتخصصين في الطب النفسي عادة ما لا يرون إلا المترددين على عياداتهم أو مراكز الخدمة الصحية ، وأن المراهق الذي يذهب إلى هناك لم يكن ليذهب إلا لو كانت لديه مشكلة.

وحقيقة فإن المراهقة ليست محصنة من قدر من الألم ، ولكنها أيضاً ليست محض بلاء ، بل ويشبهها البعض بأنها الحمل الذي يتخفى في ملابس ذئب، فرغم أن الأحوال النفسية الحادة قد تشيع أثناء المراهقة أكثر من الطفولة الوسطى ، فإن الفارق لا يكون كبيراً ، فبالتأكيد لا يظهر أغلب المراهقين أعراضاً أو اضطرابات ، فلقد أكدت الإحصائيات في الغرب أن ما يقرب من 10 : 15٪ من المراهقين قد يعانون صعوبات ذات دلالة تتمثل في اضطرابات انفعالية ، إلا أن 2,5٪ من هذه الاضطرابات قد تظهر لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة ، كما تؤكد مثل هذه الإحصاءات أن كلاً من البنين والبنات يكونون عرضة لهذه الاضطرابات بقدر متساوٍ ، والأهم من ذلك أن أغلب هذه المشكلات تقل وتختفي بشكل تام.

ومرة أخرى نؤكد أنه رغم شيوع بعض المشاعر غير السارة في فترة المراهقة ، وقد يصل تقليل الذات إلى قمته ، فإن أغلب المراهقين يكونون سعداء وواثقين بأنفسهم وليس بالضرورة أن يكونوا ضحايا للاكتئاب أو الاضطراب الانفعالي.

إن ما يجعل من هذه المرحلة مشكلة لدى الوالدين هو ما تتضمنه من سعي المراهق إلى تحقيق استقلاله عن الوالدين وجهاده للحصول على الحرية ، وأن تكون لديه أفكاره ومشاعره الخاصة ، وكذلك قيمه وحريته أيضاً في أن يخطط لمستقبله وأن يختار انتماءاته.

والمراهقة من هذه الزاوية هي مرحلة نمو بناءة تضيف إلى الشخص ولا تنقص منه، فهو في سعيه للحصول على الحرية والاستقلال إنما يكتسب مهارات جديدة وهامة في التصدي والتعامل مع أمور الحياة، وفي هذه المرحلة أيضاً يكتمل نمو القدرات المعرفية، وتصبح أكثر مرونة ، الأمر الذي يزيد من قدرة الفرد على حل المشكلات ، ويجعل منها مهمة أسهل مما كانت عليه في فترة الطفولة، كذلك تزيد المهارات الاجتماعية في مداها ودرجة تعقدها.

ويعتقد الوالدان أثناء محاولة طفلهم (في هذه المرحلة) للحصول على استقلاله بأنهما لن يتمكنا من التواصل معه وأنهما سوف يفقدان العلاقة الحميمة التي تربطهما به. والحقيقة غير ذلك ، فأغلب المراهقين يستمرون في التعلق بأسرهم وبشكل إيجابي ، كما يظلون في حاجة إلى دعم الوالدين الانفعالي وأيضاً استحسانهم . كذلك يكون للاهتمام والتدخل والإشراف الوالدي دور حيوي خلال هذه المرحلة التي يكون فيها الابن ما زال يختبر الحياة.

وتستمر الغالبية العظمى من المراهقين في مشاركة الوالدين اتجاهاتهم نحو الموضوعات التي تتعلق بالأخلاق والقضايا السياسية ، ويستمرون أيضاً في قبول نصائح الوالدين فيما يتعلق بالأمور الأكاديمية والمهنية وحتى الشخصية.

ومن الأمور التي قد تثير قلق الوالدين ما قد يعتري المراهق من بعض مشاعر الكآبة والتي نرى أنها قدره إلى حد كبير بمعنى أنه من الضروري أثناء الانتقال من مرحلة الطفولة إلى الرشد أن يكون هناك ارتفاع مفاجئ في الإحساس بالتعاسة أحياناً ، فعادة ما يتألم المراهقون بسبب ما قد يعانون من انخفاض في تقدير الذات أو القلق حول المستقبل أو بسبب مخاوف تتعلق بالتعليم أو المشاركة في الأنشطة المختلفة ، وكل هذه الأمور نرى أنها مشكلات نمو طبيعية.

وهنا نجد من الأهمية بمكان مناقشة بعض الأمور المتعلقة بالوالدين في علاقتهما بالمراهقة ، ففي هذه المرحلة تمر توقعات كل من الوالدين والمراهقين بأزمة ، وذلك بفعل التغيرات الشديدة التي تحدث للمراهق خلال مسار البلوغ . فقد يشعر بعض أولياء الأمور وهم يرون طفلهم يتحول من الطفل المطيع إلى شخص متمرد ورافض لمعاييرهم لفرض المزيد من القيود على المراهق لإجباره على الانصياع مرة أخرى .

وترى ديانا بومرند (Diana Baumrind) أنه على الوالدين ألا يكونوا شديدي العقاب أو غير مبالين أو غير مهتمين ، بل عليهما أن يفرضا قواعد للسلوك ، ولكن في إطار من العلاقة الدافئة . ففي دراستها وتحليلها للعديد من أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالكفاءة الاجتماعية لدى المراهقين ، وجدت أن أكثر الأساليب الوالدية فاعلية هي الحساسية وسرعة الاستجابة للأبناء ، أو بمعنى آخر أن يكون الأهل مساندين ومدعمين لأطفالهم وأن يراعوا حقوقهم . فقد وجدت ارتباط مثل هذه الأساليب بشدة بالكفاءة الاجتماعية لدى الأبناء .

كذلك أثبتت أنه عندما يعاني الوالدان مشاكل نفسية أو سلوكية ، فإن هذا سوف يعكس نفسه على ظهور مشكلات نفسية لدى أبنائهم ، ومن ثم تقل كفاءتهم الاجتماعية .

وكذلك أثبتت أنه عندما يعاني الوالدان مشاكل سلوكية – أو نفسيه أو اجتماعية (صراعات زواجية – مشكلات طب نفسية .... إلخ) فإن ذلك يعكس نفسه على ظهور مشكلات نفسية لدى أبنائهم ، ومن ثم تقل كفاءتهم الاجتماعيه .

وتعتبر المراهقة هي المرحلة التي تتصاعد فيها حدة الصراع بين الوالدين وأبنائهم . ويرجع ذلك بالضرورة إلى عدة عوامل تتلخص في درجة نضج الوالدين من ناحية وظروف وأحوال المراهقين من ناحية أخرى ، حيث يمر المراهق بتغيرات بيولوجية وتغيرات معرفية وكذلك زيادة المثالية والاتجاه نحو التفكير المنطقي ، وأيضاً تغيرات اجتماعية تتمثل في سعي المراهق إلى تحقيق استقلاليته وتفرده الشخصي من ناحية ، وكذلك التغيرات الجسمية والمعرفية والاجتماعية للوالدين ، الذين غالباً ما يكونون في مرحلة منتصف العمر، حيث يلعب كل هذا دوراً في شكل ودرجة الصراع.

وما نود أن نؤكده هنا أن المسئولية لا تقع على المراهق وحده ، بل يشارك فيها الوالدان بنصيب غير قليل ، حيث تساهم أوضاع الوالدين التي تشمل درجة الرضا الزواجي ومستوى الضغوط الاقتصادية والمهنية وأيضاً الوضع الصحي والنفسي لهما في صياغة طبيعة العلاقة بين الوالدين و أبنائهم في هذه المرحلة.

ورغم كل هذا فعادة ما يحدث هذا الصراع في المرحلة المبكرة من المراهقة ، ويدور في أغلبه حول أمور تتعلق بالحياة اليومية وما تتضمنه من اختلاف في وجهات النظر بين الوالدين وابنهم ، وعلى سبيل المثال الاختلاف حول الوقت الذي يجب أن يعود فيه إلى المنزل أو كثرة الأحاديث التليفونية ... إلخ ، ونادراً ما تشمل هذه الصراعات أموراً خطيرة مثل الانحرافات السلوكية.

ننتقل هنا إلى قضية أخرى هامة ، وهي قضية العلاقة بين سعي المراهق لتحقيق استقلاله الذاتي في علاقته بطبيعة العلاقة التعلقية بوالديه وتاريخياً ، فقد اهتم علماء النفس بموضوع الاستقلال الذاتي على أنه موضوع منفصل ، إلا أن وجهات النظر الحديثة تؤكد أن طبيعة العلاقة التعلقية بين الوالدين والطفل أثناء الطفولة المبكرة هي المحدد الأساسي والجوهري لتطور قدرة الأبناء عند المراهقة على تحقيق استقلالهم الذاتي.

ولكن مـا هو المقصـود بسلوك التـعلق (Attachment Behavior)؟ ونوجـزه فـيمـا يلي:- أنـه لدى الأطفـال الرضع مـيل بيـولوجي للتـعلق بواحـد أو اثنين من القـائمين على رعايتـهم ، وكذلك يوجد ميل بيولوجي لدى الراشدين للعناية ولرعاية المخلوقات الضعيفة غير القادرة على حماية أنفسها . ويبدأ التعلق بعدم قدرة الطفل على التمييز بين الراشدين من حوله ، وتنتهي بقدرته على عمل رابطة عاطفية موجهة نحو أحد القائمين على رعايته ، والذي غـالبـاً مـا يكون الأم . وبعـد أن تنمـو هذه الرابطة العـاطفيـة يبـدأ سلوك الطفل في الانتظام حول الهدف ، ألا وهو استمرار قربه من الأم ، وخاصة في حالة وجود أغراب أو في حالة تـعبه أو انزعاجه . ومن هنا تلعب الأم دوراً أسـاسيـاً كمصدر لراحة وحماية ودعم الطفل وقت إحساسه بالضغط .

ويشكل نموذج التـعلق الوالدي (الأم أولاً ثـم الأب) أسـاسـاً آمناً يسـاعـد الطفل على اكتشاف البيئة ، بل والسيطرة والتحكم في كل من العالم الفيزيقي والاجتماعي .

ويؤكـد العلمـاء أنه كلمـا كان نموذج التـعلق مـتـاحـاً للطفل وسـريع الاسـتـجـابة كلمـا استطاع الطفل أن يكون الإحساس بالأمـان والثقة ؛ لأنه يشـعر بأن العالم المحيط به يمكن التنبؤ به ، ومن ثم يتعلم الطفل من خـلال هذه العلاقة الآمنة أنه يتمتـع بالحمـاية والدعم من قـبل الآخـرين . أمـا إذا اتسم نموذج التـعلق بعـدم التـواجد أو ببطء الاسـتـجـابة فسـوف ينعكس ذلك على أن يعاني الطفل القلق الشديد ، ويتعلم أن العالم صـعب ، ولا يمكن التنبؤ به ، بل ومهدد ورافض.

وتؤكد سوزان كامبل (1990) Susan Campell ارتباط التعلق الآمن بالكفاءة الذاتية والقدرة على التكيف ، بينمـا يـرتبط التعلق غيـر الآمن بعدم الطاعة وعـدم المرونة وضـعف القدره على حل المشكلات .

ولعلنـا من خـلال ذلك نود أن نـوضـح أن المراهقين يـعـيـشـون مع والديهم فـي عـالم اجتماعي متناسق يضم بعدي الاستقلال والتعلق ، وأن ما يحدد الكيفية التي سوف يسعى المراهق من خلالها إلى تحقيق استقلاله الذاتي سوف يعتمد إلى حد كبير على طبيعة علاقته المبكرة بوالديه ، وأن تلك العلاقة الآمنة مع الوالدين سوف تجعل المراهق فيما بعد يتمتع بالكفاءة الاجتماعية ، كما ينعكس ذلك على تقديره لذاته وتوافقه ، وكذلك على صحته

الجسدية ، بينما يرتبط ضعف التعلق العاطفي بالوالدين بمشاعر مرتفعة من الإحساس بالرفض الوالدي وانخفاض الجاذبية الاجتماعية .

كذلك تقي العلاقة التعلقية الآمنة بالوالدين المراهق من مشاعر القلق والاكتئاب أو الألم النفسي المرتبط بعملية الانتقال من الطفولة إلى الرشد ، أي أن الدرجة التي تتمتع بها الأسرة بالصحة النفسية هي التي سوف تحدد في النهاية مسار فترة المراهقة والكيفية التي سوف يسعى من خلالها المراهق لتحقيق استقلاله وهويته الشخصية ، بمعنى أن الأسر التي تتمتع بدرجة من الصحة النفسية سوف تستطيع أن تتوافق مع سعي الأبناء لتحقيق تحديات هذه المرحلة والعكس صحيح ، فالأسر التي لا تتمتع بمثل هذه الصحة النفسية سوف تظل حبيسة الدور الوالدي المتسم بالسيطرة وممارسة القوة . ومرة أخرى نؤكد ما أشارت إليه الدراسات من ارتباط الاتجاهات الوالدية المتسلطة بالاستقلال الذاتي المنخفض، بينما ترتبط الاتجاهات الوالدية الديمقراطية والسلطوية بزيادة قدرة الأبناء على تحقيق كل من الاستقلال والتكيف .

المـراجع :

١ - شعلان ، محمد ، الاضطرابات النفسية في الأطفال ، الجزء الأول ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل العلمية ، 1977 .

2 - Campell, S.B. (1990): Behavior Problems in Preschool Children: Clinical and Developmental Issues. The Cruilford Press.

3 - Erikson, E.H. (1968): Identity Youth and Crisis. W.W.Norton and Company Inc. New York.

4 - Freud, A. (1958): The Psychoanalytic Treatment of Children. London: Imago Publishing Company.

5 - Herbert, M. and Harper Dorton, K.V (2002): Working with Children, Adolescents and their Families: Marten Herbert.

6 - Hetherington, E.M and Parke, R.D (1979): Children Psychology: A Contemporary View Point. McGraw-Hill Company Japan.

7 - Santrosk, J.W (1993): Adolescence. An Introduction. Wmc. Brown Communication.

العنف والمراهقة

هدى أحمد الضوي ✪

يعد العنف ظاهرة عالمية أو مرضاً استشرى في كيان المجتمع ، وهو الأمر الذي يدعونا إلى النظر والتأمل في هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها ودوافعها والتعرف على المستجدات التي حدثت على الصعيد المحلي والدولي ، واستلزمها تزايد في شكل العنف ومظاهره ، وهو ما يعد رسالة أو صيحة إنذار يجب التوقف أمامها ودراستها بعناية ، ودراسة المناخ الاجتماعي النفسي الذي أفرز هذه الظاهرة ، خاصة أن الآثار السلبية للعنف لا تقف عند حد القائم بالعنف فقط ولا الشخص الواقع عليه العنف فعلياً ، بل يتعدى ذلك إلى الشخص المشاهد للعنف ، ومن ثم تزداد الدائرة اتساعاً ليصبح الجميع تقريباً إما معتدياً أو معتدى عليه أو مشاهداً لعنف ، ويظل الأثر النفسي السيئ هو المتحدث عن هؤلاء جميعاً .

وقد قسم إيرك فروم السلوك العنيف إلى نوعين :

1- السلوكيات العنيفة الموجهة ضد الذات كالانتحار .

2- السلوكيات العنيفة الموجهة ضد الآخرين مثل القتل والضرب وإلحاق الأذى بالممتلكات.

ويشتق مفهوم العنف في اللغة الإنجليزية من المصدر to violate بمعنى ينتهك أو يعتدي، أما في العربية فإنه كما جاء في المعجم الوسيط يشتق من عنف ، حيث يقال عَنُف به وعليه ، أي أخذه بشدة وقسوة فهو عنيف .

✪ مدرس علم نفس ، كلية الآداب ، جامعة المنيا .

ويأتي تعريف العنف في موسوعة (الجريمة والعدالة) كتعريف عام يشير إلى كل أشكال السلوك ، سواء كانت واقعية أو مرتبطة بالتهديد الذي يترتب عليه تحطيم وتدمير الملكية أو إلحاق الأذى أو الموت بفرد أو النية بفعل ذلك .

وهناك من يركز على جوانب الصراع الاجتماعي في تعريف العنف ، ويميل هذا المنحى التفاعلي في النظر إلى العنف والعدوانية بوصفه سلوكاً جماعياً تمارسه إحدى الجماعات التي تدافع عن قيم خفية تتعارض مع قيم المجتمع أو تتعارض مع القيم التي يرعاها ممثلو السلطة.

ويمكن القول إن العنف هو ببساطة استعمال الإيذاء مع الآخر ، وهو يؤدي إلى أذى نفسي وحرمان من بعض المكونات الحياتية .

وقد تباينت الاتجاهات والمناحي في تفسيرها للسلوك العنيف ، وعلى الرغم من اختلاف المنطلقات الفكرية التي تحكم كل اتجاه ، فإنها اجتمعت في هدف واحد ، هو محاولة تفسير هذه الظاهرة المعقدة ، ومع كل محاولات الفلاسفة والحكماء ورجال الدين ورجال القانون والساسة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والمتخصصين في العلوم البيولوجية والفسيولوجية والطب النفسي ، فما زالت حوادث العنف في تزايد مستمر .

فعلماء البيولوجي والفسيولوجي وأهل التخصص في الطب النفسي يكادون يجمعون على أن العنف مرهون بعوامل فسيولوجية وراثية بالدرجة الأولى ناتجة عن اختلال جيني معين (الكروموسومات المحددة للجنس) أو ناتجة عن خلل في إفراز الغدد ، حيث يولي عدد كبير من الباحثين أهمية خاصة للهرمونات الجنسية الذكرية بوصفها المسئولة عن السلوك العنيف ، بالإضافة إلى الهرمونات الجنسية الأنثوية والتي يظهر الاختلال فيها، خاصة في أيام الدورة الشهرية والتي ينتج عنها مظاهر سلوكية أكثر عنفاً لدى المرأة .. كما أثبتت الدراسات أن تعاطي الأم لمادة البرجستين أثناء الحمل يؤدي إلى ولادة أطفال أكثر عنفاً .

كما أرجعت دراسات الطب النفسي العنف إلى زيادة في النشاط الكهربائي والكيمياء الحيوية داخل المخ . كذلك تحدثوا عن تأثير إصابات المخ والأطراف العصبية المتداخلة بوصفها محدداً مهماً لردود الأفعال الانفعالية الناتجة عن ضعف السيطرة على حالات الهياج العصبي ، ثم جاء الحديث عن تأثير تعاطي الخمور والمخدرات على زيادة السلوك العنيف بما تفقده من سيطرة على الذات .

أما علماء النفس فقد فسروا السلوك العنيف بإرجاعه إلى أكثر من تفسير ، إما بوصفه سمة من سمات الشخصية موجودة بدرجات متفاوتة عند جميع الناس ، إلى تفسير فرويد للعدوان بوصفه يرتبط بغريزتي الموت والحياة دون انفصام ، فالعنف الموجه من الأشخاص للخارج يفترض أنه نابع من دافع الأشخاص لتدمير أنفسهم ، وذلك من أجل التنفيس عن دافعهم العدواني بالهجوم على الآخرين ، أما إذا فشل الأشخاص في ذلك فإن هذا الدافع الغريزي للعدوان لابد أن يتجه حتماً إلى ذواتهم .

ومن التحليلين الجديدين ترى هورني أن العداوة والعدوانية ميول تكمن جذورها في الرفض والنبذ ، وكذلك ترى أن الشعور بالعجز في عالم عدائي يخلق إحدى استجابات ثلاث : تحرك نحو – تحرك ضد– تحرك بعيداً عن الآخرين .

كما تم تفسير العنف من وجهة نظر علماء النفس بإرجاعه إلى الإحباط بوصفه رد فعل طبيعياً لما يواجه الفرد من إحباطات ، حيث إن الإحباط يولد طاقات في النفس من الضروري أن تخفف أو تتصرف بأسلوب ما ، حتى يشعر الفرد بالراحة منها .

ولا يمكن أن نغفل دور التعلم الاجتماعي في إكساب العنف ، بل إن هذه النظرية (التعلم الاجتماعي) لها الكثير من المؤيدين ، خاصةً في مجال العنف والعدوان ، حيث ترى أن السلوك العنيف يتم اكتسابه عن طريق الإثارة والتقليد والتعزيز ، ويحدث هذا في الغالب عندما يحصل الأفراد على بعض الإثابات على سلوكهم العنيف ، أو عندما يتوحد مع نماذج من الأدوار يراها أو يتأثر بها في حياته . وقد أكدت بعض الدراسات أن الفرد قد يلجأ أحيانا إلى العنف كأسلوب لحل المشكلات ، ويتم ذلك بناء على خطوات للتعلم تبدأ بنقد الآخرين واتخاذ موقف منهم ، ثم تطوير أساليب التصنيف لإبعاد الآخرين ، ثم أخيراً محاولة إضفاء الطابع الإنساني والشرعي على أفعال العنف الموجه نحو الآخرين ، ويعني هذا أن السلوك العنيف هو سلوك يمكن تعلمه مثل أي شكل من أشكال السلوك الأخرى .

وبعد هذا التناول السريع للعنف في محاولة موجزة للتعرف على مسبباته ، أتوقف عند فئة مهمة تطل برأسها مع كل حديث يتناول العنف ، فلا يكون حديث عن عنف بدون تذكر صغار الشباب أو المراهقين ، هذه الفئة العمرية التي ارتبط حديث العنف بها في كثير من الكتابات ، وكأن المراهقة مرادفة للعنف ، أو كأن العنف هو فعل المراهقة ، هذه الفئة المستهدفة للعنف ، والتي دائماً ما تتعالى الأصوات مدينة لهم واصفة إياهم بأنهم

تحولوا إلى عنصر إزعاج ؛ نتيجة لعنفهم وتمردهم الدائم ، ناسين أو متناسين أنهم كانوا في يوم من الأيام مراهقين مثلهم .

ومع القول إن عنف المراهقة قد تزايد في الآونة الأخيرة بشكل لافت للنظر نجد أنه من الضروري أن نتوقف أمام ذلك في محاولة للفهم بعيداً عن الاتهامات التي يلصقها البعض بالمراهقة . ولفهم أكثر تحديداً لدوافع المراهق التي تدفعه إلى العنف نتعرف أولاً على طبيعة النمو النفسي والجسدي للمراهق ، واحتياجاته النفسية والاجتماعية ، وما يتعرض له في مراحل نموه ، ثم نرى هل من الحق أن العنف مرادف للمراهقة أم أن هناك عوامل كثيرة تتداخل تجعل من المراهقة مرحلة خصبة لنمو سلوكيات العنف ؟ وأين نحن من ذلك ؟ وما دورنا نحن ككبار في خلق هذه الحالة لدى المراهق ؟ وما دورنا في تخفيف حدة العنف لديه ؟

وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات نتناول المراهقة كمرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد والنضج . وتعد المراهقة وفقاً لبعض المفاهيم مجرد طور أخرق أو فترة زمنية تتميز بالتمرد الهدام أو الانتقال السلبي والمزعج بين الطفولة والرشد ، وقد شاع مؤخراً اعتبارها اكتشافاً اجتماعياً كيفياً قلما يستحق البحث متجاهلين أن اللحظة التي يدخل فيها الإنسان إلى المراهقة هي اللحظة التي يولد فيها من جديد ، حيث تنمو صراعات جديدة ، وتظهر تغيرات عديدة ، وتبدو علامات واضحة في تلك الفترة . إنها مرحلة معاناة حقيقية ، يولد فيها إنسان جديد ، إما قادر على مواجهة الحياة وصعوباتها ، يعاونه على ذلك الكبار من ذوي السلطة في حياته ، وإما حطام إنسان يتملكه الخوف والرهبة مما سوف يواجهه ، ولا يجد من يساعده على تخطي صعاب المرحلة ، وتنمو لديه الرغبة في الركون إلى الذات وعدم القدرة على مواجهة الحياة بكل ما تحمله من مصاعب ومشكلات .

إن لحظة الميلاد الحقيقي للكائن البشري لا تتحدد بالرجوع إلى الجانب البدني فقط، ولكن تتحدد بميلاد الوعي ، وما المراهقة غير تحول من الوجود الكمي للإنسان إلى الوجود الكيفي.

ويعرفها كمال دسوقي في ذخيرة علماء النفس "بأنها الفترة من النمو الإنساني التي ما بين البلوغ والرشد والأعمار التقريبية لها هي 12 إلى 21 للبنات ، 13 إلى 22 للذكور ، وهي الفترة التي أثناءها تعقد الضغوط الاجتماعية لتعقد المدنية والتجرد من الروابط الأسرية والعثور على مركز في الحياة المهنية للجماعة وتحقيق توافقات الجنس ؛ مما يجعل

علماء النفس الاجتماعيين يعتبرونها نتاجاً جانبياً للضغوط في المجتمع لا مجرد فترة فريدة من الشد والتوتر البيولوجيين ".

ويعرف إنجلش في قاموس المصطلحات النفسية والتحليلية أن مرحلة المراهقة "هي المرحلة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى النضج" . ويري أريكسون أنها فترة البحث عن الذاتية ، وينحي فريدنبرج نفس المنحى ، فيقول " إن المراهقة عملية تزيد عن مجرد النضج الجنسي ، فهي في المركز الأول عملية اجتماعية تؤدي إلى تحديد الفرد لذاتيته ، وهي نوع من الصراع الجدلي مع المجتمع " .

ويعتري المراهق في هذه المرحلة العمرية العديد من التغيرات الجسمانية والتي تسبب له التوتر والانزعاج ، إذ يشعر بأنه يدخل عالماً جديداً يجهله ويضطره إلى التخلي عما عرفه وألفه في طفولته ، والتعامل مع ما يجهله مما يؤدي إلى صراعه وقلقه .

وتبدأ مشاكل المراهق الانفعالية والاجتماعية في الظهور ، وذلك عندما يدرك أنه شخص مختلف عن هذا الطفل الذي كانه بالأمس ، فهو لا يحب أن يعامل كطفل ويأمل في الدخول إلى عالم الكبار ، ومن ثم يكره كل ما يشده إلى عالم الطفولة ، حتى ولو كان العالم الجديد يكتنفه الغموض ولا يعلم كيف يسلك فيه بشكل صحيح . هذا العالم الجديد غير المألوف لا يبعث على الثقة ، ويزيد هذا من مشاكل المراهق ومن زعزعة ثقته بنفسه ، فعالمه غير ثابت متقلب ، ولكنه في هذه المرحلة على استعداد للتشكيل وتقبل الجديد ، وإن كان هذا يتم غالباً بشكل متطرف.

ويزيد الكبار من صعوبات المراهق ، فتارة يعاملونه كطفل ، وتارة يرون أنه قد كبر وينبغي أن يتجاوز سلوكيات الأطفال، ويحاسبونه إذا سلك على هذا النحو ، ومن ثم يجد المراهق نفسه لا ينتمي إلى هذا العالم أو ذاك ، أو على الأقل غير متأكد من انتمائه .

لهذا فالمراهقة هي ساحة نضال عاطفي يتصارع على أرضها الماضي والحاضر للسيطرة على عقل الراشد الذي يوشك على النشوء ، ويعتبر الكبار أو الراشدون أن المراهق يمثل بمراهقته تهديداً لجيلهم ، تهديداً يواجهونه بمختلف المناورات والكبت والقمع والرفض لكل سلوكيات المراهق ، ولا نمنح أي ثقة بكل الأبعاد النفسية لهذا الطور من الحياة، وهكذا تنتقل إليهم عدم ثقتنا فيهم ، فيبادلوننا عدم الثقة بعدم ثقة مماثلة منهم تجاهنا ، فالراشدون يرون أن هناك حشداً همجياً من المراهقين والمراهقات يعملون على

تفكيك البنى الاجتماعية ، ولا بد من مواجهة هذا الحشد بالشدة وكبت رغباته ، ومن ثم يواجه المراهق هذا بالعناد والسلبية والعنف وعدم الثقة بنا وعدم الاستقرار أو الالتجاء إلى بيئات أخرى يجد فيها منفذاً للتعبير عن ذاته .

خاصة أن المراهقة هي مرحلة حاسمة في تحديد الهوية ، تكون بدايتها في صورة تساؤل ملح من أنا ؟ ذلك التساؤل الذي يعد نقطة تحول وعلامة انتقال من الطفولة إلى المراهقة ، فيتحتم على المراهق أن يعيش صراعاً وقلقاً من أجل الوصول إلى تحديد إجابة لهذا السؤال . وذلك من خلال تحقيقه لجملة من المطالب والتحديات أبرزها تحقيق الاستقلالية والتفرد ، فبدون درجة معقولة من الانفصال والاستقلال الذاتي لا يمكن تحقيق علاقات ناجحة ، كما يصعب عليه أن يكون موجهاً لذاته فيما يتعلق بمستقبله المهني والتعليمي ، ويصبح من العسير تحقيق إحساس بالهوية الشخصية ؛ لأن ذلك يتطلب صورة إيجابية للذات في تفردها واتساقها وتكاملها .

فالهوية تعني أن المراهق يسعي للوصول بوضوح إلى من يكون ؟ وما هو دوره في المجتمع ؟ أهو طفل أم راشد ؟ وهل يمكن أن يصبح يوماً زوجاً وأباً؟ وماذا يمكن أن يفعل؟ وهل يستطيع أن يشعر بالثقة ؟

وكما أن مرحلة المراهقة هي مرحلة البحث عن الذات والهوية ، فهي كذلك مرحلة البحث عن القدوة والنموذج ، والحق أن المراهقين ينشدون الأصالة الأخلاقية ، ميالون إلى المثالية في جميع رؤاهم ، على الرغم من أنهم قد تعتريهم الدهشة لو سمعوا ما يقال على أن تصرفاتهم محكومة بشدة حساسيتهم وسرعة تأثرهم وانفعالهم وتهورهم وعنفهم الجنسي وانهماكهم في شئونهم الذاتية .

إنهم قبل كل شيء يرغبون في ممارسة سلطة حقيقية على العالم الواقعي الذي يعيشون فيه مع محافظتهم في الوقت نفسه على إخلاصهم لقيمهم ومثاليتهم ، ويرث الراشدون في جملة ما يرثونه من سنوات مراهقتهم الدافع نحو الكمال الأخلاقي .

وتتكون لدى المراهق مجموعة من الحيل الدفاعية في مواجهة عالم الكبار قد تجعله مستهدفاً للعنف والعدوان ، منها (النقل) ، حيث ينقل المراهق الاحتياجات الاعتمادية من الوالدين إلى بدلائهما من الأقران ، وقد ينسلخ المراهق من سيطرة والديه لدرجة الاندماج مع مجموعة الأقران في نشاط مضاد للمجتمع . كما يسعى المراهق إلى (قلب المشاعر

للضد) فالمراهق الذي لا يستطيع الانفصال عن والديه قد يعكس اعتماديته ويحول الحب إلى عناد والارتباط إلى ثورة والاحترام إلى سخرية . كما يميل المراهق إلى (المثالية) ففي غمرة حماسه الأخلاقي يرى الأمور إما بيضاء أو سوداء ، أي أنه يراها كمبادئ قاطعة يجب تطبيقها دون اعتبار للموقف .

مثل هذه الميكانزمات تجعل المراهق أكثر حساسية ، ويظهر لديه العنف أكثر مما يظهر في أي مرحلة أخرى . وكما يذكرنا (جلاسر) أن العنف هنا المقصود منه السعي لانكسار الخطر ، فهو يظهر كحفاظ على النفس ، ومن ثم يمتد ليشمل الاستجابة بعنف لأي تهديد للسلامة النفسية.

ومن خلال عمليات التنشئة الوالدية نجد أن الآباء لا يستطيعون أن يقدموا لأبنائهم المساعدة الكافية التي تساعدهم على تخطي التوتر والقلق النفسي الذي يتعرض له كنتيجة للتغيرات المصاحبة للمرحلة ، ولا يستطيعون أن يقدموا نموذجاً مفيداً يقوم المراهق بمضاهاته عند محاولة حله للمشكلات ، ولا يؤمنون بأهمية مساعدة الصغير في إيجاد طرق خاصة به لتساعده على الاستجابة للمواقف الصعبة . وغالباً ما يتم كبح هذا الصغير عندما يحاول البحث عن طرق إيجابية ومفيدة للتخلص من العدوانية ومشاعر العنف بداخله مثل التوكيد والإبداع ، بل نقمع دائماً هذه المحاولات ، إما من منطلق عدم الثقة فيما يقوم به المراهق ، أو لانشغال الآباء عن متابعة ما يحاول الصغير أن يقوم به كحل لمشكلاته ، ويكون البديل لديهم بدلاً من متابعته والاستماع إليه تسفيه أي حل إبداعي أو رأي له بدعوى أنه ما زال صغيراً ، وأحياناً تتدخل الصورة الذهنية المنطبعة في ذهن الوالدين عن مرحلة المراهقة في جعلهم يتوجسون خيفة من أي حل للمشكلات نابع من المراهق ولا ينطوي تحت الحلول التي يضعها الآباء لأبنائهم ويطالبونهم بتنفيذها دون تفكير ، فقد اعتدنا على تنشئة أبنائنا – خاصة في المجتمعات العربية – على الطاعة والاتباع وعدم التفكير ، مفترضين أنهم لو خرجوا عن ذلك فقدنا زمام السيطرة عليهم .

ومع عدم قدرتنا على مساعدة شبابنا الصغير على النمو الجسدي والمعرفي والانفعالي الصحيح ، نقدم لهم بالإضافة إلى ذلك نموذجاً للعنف متمثلاً في العنف المتبادل بين الوالدين والذي زادت حدته في الآونة الأخيرة ، وتظهر الأم فيه أحياناً هي الضحية التي لا يستطيع الطفل أن يتفهم لم تتحمل كل هذا العنف ؟ ويتساءل هل تجد فيه شيئاً من

المتعة ؟ ومن ثم يشوش وعي الطفل من الفاعل؟ وماذا يفعل؟ ومن المفعول به؟ طبقاً للطريقة السادو- مازوخية، وأي الموقعين يفضل : موقع المهاجم أم موقع الضحية؟

وفي هذا الجو المشحون انفعالياً في المنزل الذي يصبح فيه العنف هو أسهل الطرق لحل المشكلات والتعبير عن الأنا ، نجد أن العنف عند المراهق هو صورة من العنف عند الآباء ، وقد يحدث هذا إما بالتقليد والنقل أو كرد فعل على غضب الوالدين ، فبعض الآباء يكون العنف هو ردهم الدائم على كافة ما يوجه إليهم ، ويصبح من أهم ميزاتهم ، فالوالد هنا يحقق كل احتياجاته من خلال نوبات العنف والغضب ، وهو بذلك يقدم لأولاده نموذجاً عن كيفية التعامل مع الأشياء والأشخاص ، وعندما يكون العنف هو اللغة السائدة، يفقد المراهق الثقة والأمان بما يعنيه المنزل له من أمان وحماية ، ويحاول أن يكون له مكان في هذا العالم العنيف ، سواء اتخذ دور الفاعل أو الضحية . ولا يجد المراهق المناخ داخل مدرسته مختلفاً .

وعندما يسفه المراهق ولا يلتفت له أو عندما تشدد القيود عليه مع ما يشعر به من قلق وجودي ، تزداد مشاعر الاستياء والحرمان والصراع مع أصحاب السلطة في حياته . فهو يشعر أنهم وجدوا ليحرموه من الاستمتاع بامتيازات النضج ، وتتحول المسألة إلى صراع من أجل إثبات الذات ، فالكبار ينظرون بشيء من عدم الثقة والتقدير للمراهقين ، وهم بذلك يبادلونهم نفس المشاعر من عدم الثقة والتقدير، ويبدأ في الإحساس بأنه مخلوق غير مقبول اجتماعياً .

ويظهر العنف لدى المراهق في البداية في صورة غضب عندما يشعر أن نشاطه أُعيق وأُحيل بينه وبين غاياته ، وعندما يشعر بالظلم والحرمان ، عند ذلك تظهر استجابات الغضب على المراهق ، وتتخذ لنفسها مظاهر حركية ، فنجده مثلاً يتحرك في الغرفة جيئة وذهاباً في ثورة واضطراب، أو يترك المنزل ويهيم على وجهه ، أو يظهر في استجابات لفظية تبدو في خصومته ووعيده وتهديده وسبابه ، وقد تستقر استجابات الغضب في تعبيرات الوجه وفي لوم المراهق لنفسه ، فقد تسيل دموعه من فرط الألم لرقة حواسه ورهافة مشاعره .

ويشعر المراهق بالكثير من الإحباط حين يعاق عن إشباع حاجاته ، وخاصة حاجته إلى الاستقلال ، وحين لا تستقيم في نظره الأمور ، أو حين يعجز عن إتمام ما أعد نفسه

لإنجازه ، أو حين يقاطع أثناء الانشغال بعمل ما ، أو حين يُقتحم عالمه الخاص ، أو يتم التعدي على ممتلكاته الشخصية ، كما تزداد حساسيته في لومه لذاته ، ويزاد لديه الإحساس بالذنب ولوم الذات ، وأحياناً يبدأ في توجيه عنفه لذاته .

إذن فالمراهق يبدأ في رفض الآخر المتمثل في السلطة الاجتماعية (المكونة من والديه أو معلميه أو غيرهم من ممثلي السلطة الاجتماعية) ، وينتقل بعد ذلك الرفض لبيئته من خلال رفضه لكثير من الصور التي لا يقبلها ويسخط عليها ، خاصة أنه بطبعه ميال للمثالية، وأحياناً ينتقل رفضه وسخطه لذاته ، وتزداد حساسيته لشكل جسمه ووجهه ومستواه الاقتصادي والاجتماعي ، ويبدأ المراهق يحيا في عالم آخر من صنع خياله ، يبحث فيه عن بدائل لما يعانيه في الواقع ، ويزداد ميل المراهق الغاضب للكآبة ، فيبدأ في الشكوى والتذمر من المدرسة أو الجيران أو من وضعه أو من بعض فئات المجتمع .

ومن ثم يتحول المراهق لضحية للعديد من التصرفات العنيفة ، سواء داخل الأسرة أو خارجها . ويري التحليليون أن غضب الآباء من آبائهم المتبقي منذ فترة الطفولة يتم نقله إلى طفلهم (حفيد آبائهم) ، ومن ثم يتم إسقاط الصراع الوالدي على الأبناء .

ومن المؤكد أن العديد من الضغوط الموجودة في الأسرة يمكن أن تؤدي إلى ردود أفعال عنيفة كاستجابة للإحباطات الناتجة ، حيث يتم ترسيخ العنف بعد ذلك بواسطة الأطفال على أنه استراتيجية مقاومة للاستجابة للضغط الموجود في حياتهم الحالية .

كما أن استخدام الوالدين للعقاب الحسي بدلاً من الإقناع والتأثير لا يشجع المراهق على تأمل تصرفاته ، ومن ثم يفشل في إمداد المراهق بالقدرة المعرفية على تقدير صحة سلوكه .

والعقاب الحسي وإساءة المعاملة يميد أثرها عبر الأجيال ، فمن تعرض لإساءة معاملة بانتظام وبأي شكل من الأشكال ، يصبح فرداً غير متعاطف ، وإذا مارس إساءة المعاملة والعنف فيما بعد فإنه ينظر لضحاياه كأشياء ، ولا يشعر بأي مشاعر نحوهم ، ومن ثم يشكل هؤلاء في المستقبل خطراً على المجتمع بأكمله .

وكحل للهروب من عدم الإحساس بالاستقلالية والاحترام يسعى المراهقون إلى جماعة الأقران والتي تعد ذات أهمية كبرى للمراهق ؛ وذلك لما تمنحه من حرية التعبير عن انفعالات الخوف والغضب ومشاعر الشك ، وبما تهيئة من اطمئنان ينشأ عن وعي المراهق

بأن الآخرين لديهم نفس المخاوف والشكوك والآمال ، بل إن النقد الذي يوجهه الأقران بعضهم لبعض يتيح لهم الفرصة لتعلم أنماط وسلوك جديد ، كما يساعدهم على تعديل سلوكهم وأذواقهم وأفكارهم دون الحاجة إلى المرور بتجربة مؤلمة كي يتعلموا منها .

وتتوحد الفكرة في أذهان الأقران بأن العنف هو طريقة مقبولة لحل المشكلات وأنه الطريقة الطبيعية للتعامل مع الأشياء وحل الصراع وضبط الأمور ؛ وذلك من أجل حماية الذات، ومن ثم تصبح فكرة (هاجم الآخرين قبل أن يهاجموك) فكرة مقبولة لديهم للحفاظ على الذات والإبقاء على الاحترام .

ومع سيادة هذه الفكرة لدى جماعات الأقران يظهر العنف الجماعي ، وهو ما يتضح في حالات الثورة والتمرد الجماعي والصخب الذي يظهر في تجمعات المراهقين ، خاصة في المدارس ، فهم يجمعهم شعور وعقل جمعي عام ، وقانون نفسي لوحدتهم الذهنية ، فهم محبطون مستثارون عاطفيون سريعو الانفعال رافضون لسلطة الكبار وعدم تقديرهم فاقدون للهوية ، ومن ثم فهم في هذه اللحظة يرفضون أي فكرة غير فكرتهم (هاجم غيرك قبل أن يهاجمك) لا يتحملون نقاشاً ، ويتراجع العقل الفردي ، ويذوب في العقل الجمعي، وتنخفض القدرة على التفكير، وتطغى الخصائص التي تصدر عن اللاوعي الرافض، ومن ثم لا تعرف غير العنف الحاد شعوراً . وهذا الموقف الحاشد يقلل من إحساس المراهق بمسئوليته تجاه أفعاله ولومه لذاته ولوم الآخرين له ، ومن ثم يطلق العنان لرغباته اللاشعورية المكبوتة لتعبر عن نفسها في هذا الموقف الغاضب العنيف ، لا تقصد ضحية، بعينها ، بل تعبر عن رفضها لكل الرموز والقيود التي توضع على سلوكه .

إذن هي حالة من الصراع من أجل البقاء وإثبات الذات والبحث عن الهوية ، ولكن هناك تساؤل يفرض نفسه هنا ، فهذه الحالة من الصراع ومشكلات إثبات الذات والرفض لسيطرة الكبار هي حالة موجودة بين كل الأجيال الماضية ، خاصة أنها مرتبطة بخصائص مرحلة عمرية ، بل إن البعض يرجعها كحالة من حالات صراع الأجيال التي ستظل متواجدة ، ولكن السؤال الذي يعنينا الإجابة عنه هنا : لماذا زادت سلوكيات العنف بشكل مزعج وملح في الوقت الحالي ؟ لماذا تزايد الرفض ؟ لماذا اتسعت الهوة بين الأجيال ؟ هل الصفات الوراثية للأجيال هي التي اختلفت أم الواقع والتغيرات المجتمعية هي التي أفرزت هذا الاختلاف ؟

إنني دائماً ضد اتهام جيل ما بالكثير من السلبيات وكفى ، وكأننا نركن إلى هذا التفسير لنريح أنفسنا من تبعة مسئوليتنا أولاً عن هذه السلبيات ، وليس الأبناء الذين في طور المراهقة وحدهم ، فالمشكلة تبدأ من عندنا نحن الكبار ، ولنتأمل المستجدات التي حدثت على صعيد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في الآونة الأخيرة؛ لنتعرف على ما قدمنا لهذا الجيل من المراهقين الذين يبحثون عن المثالية والكمال والمستهدفين دائما للعنف .

إننا خلقنا جيلاً من المراهقين ليست لديهم القدرة حتى على الحلم ، فنحن نتعامل مع مراهق شديد الحساسية لقيم العدل والخير ، ولكنه يرى واقعاً مختلفاً غير واضح المعالم . إنني لا أريد أن أتطرف في القول فأقول إننا نقلنا للجيل الجديد هزيمتنا الداخلية ، هويتنا المفقودة، فأحبطناه وخنقنا حلمه بداخله ، ولكني أجزم بأننا مسئولون عن كثير من المعاناة التي يعاني منها المراهق .

إننا لا ننكر أن شباب اليوم قد تخطى بعض القيود المفروضة على الأجيال السابقة، وأتيحت لهم بعض الحرية – وإن كانت حرية غير مقننة غير مدروسة – ولكنهم في نفس الوقت فقدوا الأمان لوضعهم السابق ، فالكبار يعانون الكثير من المشكلات التي انعكست على المراهقين في بيئتهم المنزلية ، ومن ثم حاولوا البحث عن الأمان الذاتي خارج أسرهم لدى أفراد أو حشد يماثلهم ، يتصرفون ويفكرون بوضوح وبشكل مشابه في عالمهم الذي أغلقوه على أنفسهم بحثاً عن أمان زائف ، ساعدهم على ذلك ما أتيح لهم من وسائل تكنولوجيا يقضون فيها وقت فراغهم بعيداً عن تطفل الكبار ، وبحثاً عن الأمان والحلم بعالم لهم يجدون فيه حرية ومجالاً للاختيار ، وخاصة أن المستقبل غير المضمون جعلهم غير قادرين على استخدام الأدوار الرئيسية كأساس لتكوين الهوية الاجتماعية، ولديهم خيارات بديلة لبناء شخصيتهم الاجتماعية بغض النظر عن ما إذا كانت هذه الشخصيات متوافقة وتستطيع تحمل المسئولية أم لا ، فهم يعانون من تشوش وعدم وضوح لكل المعاني والقيم التي يحاول الكبار غرسها فيهم ، خاصة أن مجتمعاتنا قد مرت بمرحلة تغير فجائية لم نكن مُعَدِّين نفسياً لتحمل تبعات هذا التغير، فظهرت في غفلة منا قيم جديدة سادت وطغت وأعلت من قيمة المادة ، وسادت روح الفردية ، وحدث اهتزاز عنيف في منظومة القيم داخل المجتمع ، وفقدت كثير من القيم معناها ؛ مما أوجد حالة من انعدام التوازن

لدى الجميع . فمابال المراهقين وهم شديدو الحساسية لكل تغير؟!

ولم يشهد العالم من قبل مثل ما يشهده هذا العصر من صراع في الأفكار والأيدلوجيات والاتجاهات ، سواء بين الأفراد أو بين الدول ، ووصل الصراع العالمي مداه في محاولة فرض أيدلوجيات ومحو هويات بعينها ومحاولة جعل السيادة للأقوى اقتصادياً وعسكرياً ، ووقفنا أمام هذه الصراعات مكتوفي الأيدي ، لم نسلح أبناءنا بأيدلوجياتنا؛ ليحميهم منهجها ويهتدوا بها في كل نواحي حياتهم ؛ حتى لا يصبحوا مجرد مواطنين بالميلاد ؛ لأننا نحن أيضا لم نحدد أيدلوجياتنا في مواجهة هذه الهجمة الشرسة من الأيدلوجيات الأخرى ، ومن ثم خلقنا جيلاً فاقداً لهويته ، فلم نمنحه تحديداً أو دراسة لهذه الهوية ، لم نمنحه الشعور بالاعتزاز القومي والسلالي فيشعر بذاته ، بل تركناه نهباً للضياع يبحث هو لذاته عن هوية فلا يجدها إلا بالمزيد من العنف ؛ ليجد لنفسه مكاناً في مجتمع مزدحم لم يعد أحد فيه لديه أي قناعة لمشاركة الآخر ، بل تحول الآخر لشخص يهدد وجودنا وحقنا في المسكن والمأكل الملائم . هناك آخر يجبرنا الاحتكاك على التفاعل معه في حيز ضيق ألغى إحساسنا بالخصوصية والحيز الشخصي وما يمثله مجرد دخول الآخر فيه من انتهاك لحريتنا ، ومن ثم زاد التوتر ، وأصبح العنف هو الحل للتعامل مع آخر ليس لدينا قناعة كافية تدفعنا لمشاركته وتحمله ، ولذلك زاد الشعور بالاغتراب والتهميش . داخل المجتمع، وهو الأمر الذي يفرز بلا شك زيادة في روح العداوة والعنف بيننا، ومن ثم زاد العبء على مراهق اليوم ، فعليه أن يتحمل كل ذلك ، يتحمل أن يتحول في فصله الدراسي إلى مجرد رقم لا يعني أحداً ؛ لأنهم كُثر ، وبهذا زادت مشاعر الرفض للآخر ، وظهر العنف معبراً عن نفسه في الكثير من تعاملاته اليومية .

كما أن سيطرة عصر التكنولوجيا ألبست كل الأشياء طابعاً عقلانياً تراجع أمامه الاهتمام بالعلاقات الإنسانية زادت من مشاعر الرفض للآخر ، بل كلما زاد تقدم الإنسان في مجال الكشف والاختراع في العلوم الطبيعية كلما زاد قلق الإنسان واشتد ضيقه وحنقه ، ومع كل التقدم في الثورة المعلوماتية هناك حالة من الفزع من الآخر جعلت إنسان اليوم يتسم برؤية أحادية ، ومن ثم ينغلق على أفكاره ، ولا يحتمل التعامل مع الآخر ، بل يستبعده من دائرته ما استطاع لذلك سبيلاً ، وأصبح الآخرون هم الجحيم كما يرى سارتر.

ناهيك عن المشكلات الاقتصادية التي يمر بها مجتمعنا حالياً والتي تخلق حالة رهيبة من العجز والعوز عند قطاع عريض من المجتمع . وعندما تتعارض احتياجاتنا مع إمكانياتنا يحدث التصادم الداخلي ، ومن هنا تكون المشكلات الاقتصادية هي السلاح العنيف الذي يولد الكثير من العنف ، ويحول الفرد إلى شخص عنيف عدواني .

إذن نحن نشكو جيل المراهقين ونصفه بالعنف مع عدم إدراكنا لطبيعة التغيرات التي يمر بها هو كمراهق ، وبدلاً من أن نساعده على اجتيازها نزيد من صعوبتها ، ولا نمنحه هوية واضحة ولا مكاناً يتحرك فيه ولا قيماً راسخة يستمد منها القوة ولا قدرة على الحوار والمناقشة ولا مستقبلاً واضح المعالم، ولا هامشاً من تحقيق احتياجاته المادية ، بل نتركه يتخبط وسط ذلك كله ، ولا نملك إلا لومه على عنفه وسطحيته .

هذا للأسف حال مراهقينا اليوم ، وعلينا نحن جيل الكبار أن تكون لنا وقفة مع أنفسنا نبدؤها بالتخلص من المفاهيم الخاطئة عن مرحلة المراهقة وكأنها مرادفة لكل السلوكيات الخاطئة ، فالمراهق ينمو بيننا ، يستمد كل قيمه وتفاعلاته وسلوكياته منا نحن الكبار ، فلو أحسنَّا توجيهه لاستطعنا أن نساعده على اجتياز قلقه وانفعالاته المصاحبة للتغيرات التي تمر بها مرحلة المراهقة ، ولخفضنا من حساسيته لكل المشكلات المجتمعية ولعودناه على التعامل المجدي مع المشكلات بدلاً من اعتبار العنف هو الأسلوب الأوحد للتصدي لهذا العالم الرافض له .

كما يجب علينا أن نساعده على التكيف ومواجهة مشكلاته بالتفكير والمناقشة وإشراكه في التجارب الحياتية لنا بفاعلية ، ونعلمه أن يختار ويكون مسئولاً عن خياراته ، نساعده على أن يفكر بإيجابية في مجتمعه وموطنه .

إذن فهي عوامل عديدة لابد من اتحادها معاً لنقلل من ثورات الغضب والرفض والعنف لدى المراهق ، لكن هذه الخطوات والعوامل معني بها كل مؤسسات المجتمع ، فلابد أن نعتاد نحن أيضا على تعرية مشكلاتنا ومواجهتها ، ولكننا سنسير في اتجاه واحد متباعد لو لم يحدث اندماج وتوافق بين كل العوامل والمؤسسات للتصدي لعنف المراهقة بالفهم والوعي والدراسة وليس باللوم والتأنيب .

المراجع :

1- إبس ، كيفين ج ، التقييم النفسي ومراقبة الأطفال والمراهقين العدوانيين ، في العنف عند الأطفال والمراهقين ، تحرير ميد فارما ، ترجمة محسوب عبد الصادق ، مكتبة شباب بنها ، 2001 .

2- الضوي ، هدى أحمد ، الكثافة العددية وعلاقتها بالميل للعدوان لدي الأطفال ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، جامعة المنيا : كلية الآداب ، 1994 .

3- الضوي ، هدى أحمد : علم النفس الجنائي ، دار أتون للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2003 .

4- بوزوبيل ، جونيث ، خلفيات مرتكبي العنف من الشباب – في العنف عند الأطفال والمراهقين ، تحرير ميد فارما ، ترجمة محسوب عبد الصادق ، مكتبة شباب بنها ، 2001 .

5- جلال ، سعد ، لمرجع في علم النفس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1985 .

6- حفني ، قدري محمود ، رشدي فام : مقياس أحادية الرؤية ، القاهرة ، 1994 .

7- دسوقي، كمال، ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998.

8- سلامة ، ممدوحة ، الإرشاد النفسي من منظور إنمائي ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، 1991 .

9- عبد الرحمن ، محمد السيد ، مقياس موضوعي لرتب الهوية الأيدلوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1998 .

10- عكاشة ، أحمد ، علم النفس الفسيولوجي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 8 ، القاهرة ، 1993 .

11- قطب ، خليل ، سيكولوجية العدوان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1996 .

12- كابلن ، لويز ج ، المراهقة – وداعاً أيتها الطفولة ، ترجمة أحمد رمو ، منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العربية السورية ، 1998 .

13- لوبون ، غوستاف ، سيكولوجية الجماهير ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، 1997 .

14- مكجور ، جيمس ، الاتجاهات الاجتماعية والنفسية لفهم وخفض العنف عند الشباب ، في العنف عند الأطفال والمراهقين ، تحرير ميد فارما ، ترجمة محسوب عبد الصادق ، مكتبة شباب بنها ، 2001.

15- نصر ، سميحة ، العنف والمشقة ، الاستهداف للعنف والتعرض لأحداث الحياة المشقة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، 1996 .

16- ويلبمز ، آرثر هيات ، العنف في مرحلة المراهقة – في العنف عند الأطفال والمراهقين، تحرير ميد فارما ، ترجمة محسوب عبد الصادق ، مكتبة شباب بنها ، 2001 .

- Black Burn Ronald : The Psychology of Criminal Conduct Theory, New york, 1993 .
- Finklehor D. : Child Sexual Abuse, New york, 1984 .
- Fred Benak & Susan Keys : Violent And Aggressive Youth , New York , 2000 .
- Sharon S. Brehm & Saul M . Kassin : Social Psychology, Boston, 1996.

مـــــــــــقـــــــالات

دور وسائل الإعلام في حماية الأطفال من العنف

د. أمل حـــــمـــــــدي دكـــــاك

تأثير البيئة الاجتماعية على صحة الطفل

مـــيـــســـون العطاونة الوحـــيـــدي

رياض الأطفال وحقوق الطفل في الواقع المصري

أســـــــــمـــــــــاء عـــــــــواد

دور وسائل الإعلام في حماية الأطفال من العنف

د. أمل حمدي دكاك

أولاً : العنف

يعرف العنف في اللغة العربية أنه ضد الرفق أي ضد اللطف[1] .

وجاء في المعجم المدرسي : "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"[2] .

وثقافتنا العربية تفيض بالتوجيه الروحي والقيمي الذي يعزز هذا المفهوم .

وإذا كانت الأسرة تمثل البيئة الأولية التي يتوجب عليها الوفاء بحاجات الطفل ومتطالباته من الرعاية القائمة على الحب والتعاطف والأمن النفسي والاجتماعي ، وكذلك غرس الموروثات والقيم الحضارية في وجدانه بالصورة التي تؤهله عندما يصبح راشداً وقادراً على تحمل مسئولياته وتبعاته وواجباته في المستقبل ، فإن البيئة المجتمعية تنهض أيضاً برعايته ووقايته وحمايته في إطار مؤسسات الرعاية والتنمية المجتمعية المختلفة (الصحية والتعليمية والثقافية والإعلامية) . وهي في هذا تتقاسم الدور الوظيفي مع البيئة الأسرية كبيئة طبيعية في تشكيل شخصية الطفل وتأمين حقوقه وصوغ مستقبله .

ثانياً : وسائل الإعلام

تشكل وسائل الإعلام[3] (إذاعة ، تليفزيون ، سينما ، صحافة ... إلخ) في عصرنا الحالي بحكم طبيعتها وتفاعل الإنسان معها ، أداة من أدوات التنشئة ، نظراً لانتشارها

✪ عضو هيئة التدريس – كلية الآداب ، جامعة دمشق ، وخبيرة إعلام الطفولة ، سوريا .

الواسع وتأثيرها في سلوك الأطفال . ففي المجال الاجتماعي تؤدي وسائل الإعلام دوراً مهماً في تنشئة الأطفال ، وتعمل على تعميق القيم الصالحة واكتساب الأطفال السلوك الجيد إذا أحسن التوجه من خلال ما تقدمه من مضامين تعمل على التثقيف والتوجيه والترفيه .

وفي المجال العلمي ، يستطيع الطفل أن يتعرف من خلاله على منجزات التقدم العلمي، وعلى الكون المحيط به ، وأن يستفيد من أحدث المعلومات العلمية . وفي المجال الإنساني يتعرف على العالم ، ويتفاعل مع الأحداث التي تجري في مناطق لا يعرفها إلا من خلال وسائل الإعلام .

إذاً تسهم وسائل الإعلام إلى جانب المؤسسات الأخرى (الأسرة – المدرسة – الأصدقاء – وغيرها) في عملية التنشئة . ولا يقل دورها أهمية عن دور هذه المؤسسات ، إلا أن هذه الوسائل سلاح ذو حدين ، فقد تساعد الطفل في تكوين مقومات شخصيته تكويناً متكاملاً (اجتماعياً ونفسياً وخلقياً ووطنياً وقومياً) إذا أحسن استعمالها ، وقد تكون عكس ذلك ، وتشكل خطراً على الثقافة القومية والوطنية ، وتترك آثاراً سلبية في شخصية الطفل . وهي جميعها كما يقول د. عبدالله عبدالدايم : لا تزال تعمل وهي غير عالمة بحصاد عملها .

إن وسائل الإعلام تستطيع من خلال ما تقدمه من مضامين هادفة وأساليب مناسبة أن تؤثر في وعي الأطفال تماماً كما تؤثر مؤسسات التنشئة الأخرى إن لم تتفوق عليها ، وتؤدي بذلك دوراً إيجابياً في تنشئتهم . ومما يزيد من فعالية تلك الوسائل انتشارها الواسع ، والوقت المتزايد الذي يكرسه الأطفال لها ، فالطفل يبدأ بالتعرض لبعضها ، كالتليفزيون مثلاً في سن مبكرة ، ويستمر في ذلك مدى حياته ولهذه الوسائل تأثيران :

التأثير الأول : ويطلق عليه اسم التأثير المعاصر ، ويحدث للأفراد الراشدين وهم في مرحلة البلوغ والنضج .

التأثير الثاني : التأثير النمائي ، وهو الذي يسهم بدراسة أثر وسائل الإعلام على سلوك الأطفال خلال مراحل نموهم منذ الطفولة وحتى البلوغ .

وقد بدأت هذه الدراسات بعد ظهور التليفزيون[4] .

وتقوم وسائل الإعلام بعدة وظائف ، منها الوظيفة الإعلامية والتثقيفية والترفيهية والتربوية والسياسية وغيرها . ويرى علماء الاجتماع أن لكل وظيفة من الوظائف السابقة

إيجابياتها وسلبياتها ونتائج غير مرغوب فيها على الصعيدين الفردي والاجتماعي ، ويحذرون من النتائج غير المرغوب فيها .

وتكمن أهم إشكالات دور هذه الوسائل في التبعية الإعلامية والتي تعد امتداداً للتبعية الاقتصادية ، وأصبحت تشكل خطراً على الثقافة الوطنية والقومية ، لا سيما بعد انتشار الأقمار الاصطناعية وتعدد الفضائيات ، خاصة إذا لم تحسن اختيار ما يقدم من مضامين برامجية أو أعمال درامية ، وإذا لم نتمكن من تحصين الجيل من هذا الغزو الثقافي المتعدد بتعدد القنوات الفضائية .

وفي هذا الصدد سأقتصر على وسيليتين هامتين ، هما الإذاعة والتليفزيون :

أ- الإذاعة

تعتمد الإذاعة المسموعة على التعبير بالصوت للاتصال بجمهورها ، أي أنها تعتمد على حاسة السمع في كل ما يصل إلى الأطفال عن طريقها . فهي تستعمل المؤثرات الصوتية والموسيقية والقدرة التمثيلية ونبرات الصوت . وحيث إن وسيلة التعبير في الإذاعة المسموعة هي الصوت فإنه يمكنها أن تصل إلى استثارة خيال الأطفال وتجعلهم يعيشون أحداث برامجها بواسطة النص الإذاعي الجيد والإخراج الدقيق الحساس الواعي والاستثمار الحسن للإمكانيات الإذاعية . وتمتاز الإذاعة بتأثيرها الشديد من الناحية النفسية والقومية والاجتماعية ، وتتميز كذلك بسهولة الاستخدام ، حيث يمكن للإنسان أن يستمع إلى الإذاعة وهو يزاول عملاً آخر .

أ- **برامج الأطفال الإذاعية** : تتوزع البرامج المعنية بالأطفال في إذاعة الجمهورية العربية السورية إلى ثلاثة أقسام :

- البرامج المباشرة الدورية : وتضم برنامجين رئيسيين هما : نادي الأطفال ويذاع في "البرنامج العام" ، وبرنامج الطلائع ويذاع عبر إذاعة "صوت الشعب" .
- البرامج المباشرة غير الدورية : وتبث في المناسبات والأعياد كأعياد الطفولة ...إلخ، حيث تخصص في هذه البرامج ندوات وحوارات ولقاءات في قطاعات مختلفة مع شخصيات تهتم بالطفولة .
- والنوع الثالث يتعلق بالأطفال على نحو غير مباشر ، مثل برامج الصحة العامة

وبرامج تربوية وترفيهية واجتماعية . وهذا النوع ليس موجهاً بشكل مباشر للطفولة، لكنه يعالج موضوعات تتصل بالطفولة اتصالاً مباشراً .

وتسعى البرامج الإذاعية من خلال مضامينها إلى تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية وعملية وثقافية وقومية سليمة ، انطلاقاً من الأهداف التربوية والثقافية السائدة ورافداً للمناهج التربوية ، إضافة لما تقدمه هذه البرامج من متعة وتسلية وترفيه للأطفال . وتعتمد برامج الأطفال الإذاعية على الموسيقا والغناء والمؤثرات الصوتية ، فالموسيقا عنصر جذاب يشد الطفل للاستماع إلى البرنامج ، كما أن الأغنية راحة لمتابعة الحصول على المعلومات.

وتقدم الإذاعة أيضاً المسلسلات والتمثيليات وكلها يكتبها مؤلفون محليون ، وتركز على الموضوعات الاجتماعية والإنسانية ، ويتعلم من خلالها الطفل التسامح والمحبة والتعاون والصدق وحب العلم والحفاظ على الملكية العامة ... وغير ذلك من القيم .

إضافة إلى المسلسلات العلمية التي تساعد الطفل على إدراك العالم واستخدام قوى الطبيعة لصالح المجتمع والاستفادة من الاكتشاف الحديثة . كما تقدم حكايات الشعوب ؛ للتقارب مع أطفال العالم[5] . وعلى ذلك فإن ما يقدم للأطفال في إذاعة دمشق لا يحمل أي عنف في مضامينه .

وإذاعة دمشق غنية ببرامجها الثقافية المتنوعة والدرامية والتي تبث للكبار . وهذه البرامج لا تتناول في مواضيعها المطروحة أي عنف ، بل تتوافر فيها قيم مغايرة لثقافة العنف .

إلا أنها قد تبث بعض المسامع في بعض حلقات من برنامج قضائي قانوني يحاسب على الجريمة ويحتاج في بعض مسامعه إلى تمثيل الجريمة كما وقعت أو روايتها (جريمة قتل ، سرقة) . وهذا المسمع قد يتأثر به بعض الأطفال إذا لم يتم التوجيه من قبل الأسرة.

ومع ذلك فالطفل من خلال التنشئة الأسرية السليمة يرفض هذا العمل الإجرامي ولا يتأثر به ، بل ينتقده .

ب- التليفزيون

يجمع الخبراء على أن التليفزيون وسيلة إعلامية فعالة من وسائل الإعلام ، وله الدور في عملية صياغة الرأي العام ، وفي التأثير في السلوك الإنساني . وأصبح للتليفزيون مكانة متميزة ، وكثرت الدراسات والبحوث حول مدى تأثيره في السلوك الإنساني.

ويذهب بعضهم إلى أن التليفزيون استطاع أن يحدث ثورة في أمزجة البشر وفي عادات الشعوب وثقافاتها . وإذا كان للتليفزيون ما يشار إليه من قوه هائلة في التأثير في العقول والاتجاهات والقيم عند الراشدين حقاً ، فإن التصورات عن الأثر الذي يمكن للتليفزيون أن يحدثه في عقول الأطفال قد تبدو لنا قاصرة عن بلوغ حقيقة ما يجري في الواقع .

ويتراوح المعدل العالمي لمشاهدة الطفل للتليفزيون واستخدام البرمجيات والمواقع الإلكترونية بين أربع وسبع ساعات يومياً ، أي بمعدل متوسط قدره (خمس ساعات ونصف الساعة يومياً) .

وكان المعدل العالمي في الثمانينيات نحو 3,2 ساعة والنصف يومياً . ويرجع ارتفاع المعدل إلى انتشار القنوات التليفزيونية الأرضية والفضائية ثم انتشار الكمبيوتر والإنترنت(6) .

1- التليفزيون والعنف

اتهم التليفزيون خلال نصف القرن الماضي بأنه مروج للعنف والإجرام والانحراف ، وهناك بحوث عديدة ودراسات مختلفة ومقالات كتبت حول هذا الموضوع المثير للجدل .

ويرى أحد الباحثين أن العقل السليم لا يقبل أن يعد التليفزيون هو سبب تصاعد العنف . فالعنف ظاهرة معقدة جداً تخضع لعوامل عديدة . وأطلق البعض على ما يبث من عنف من خلال التليفزيون بالعنف التليفزيوني .

التقليد : إذ يتقمص الطفل شخصية يقلد تصرفاتها أو يتبنى آراءها .

التشبع : وهي عملية التمثل والتقليد ، وتكون غير واعية ولا يختار الطفل بطله .

تبدد التثبيط : حيث تشجع صور تليفزيونية معينة انتقال الطفل إلى مرحلة الفعل .

تبلد الأحاسيس : بعد أن يتكيف الطفل مع أحداث العنف بفعل تكراريتها لا يعود يتأثر بها ، بل ينظر إليها على أنها طبيعية وعادية(7) .

إلا أن الأمر ما زال يحتاج إلى كثير من الدراسات البيولوجية والنفسية والإحصائية والميدانية لدراسة العنف التليفزيوني بشكل يبدد الكثير من التساؤلات والشكوك.

وقد خلصت الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة إلى أن الطفل عندما يتم

مرحلة التعليم الابتدائي ، أي في سن الثالثة عشرة ، يكون قد شاهد مئة ألف مشهد من مشاهد العنف ، وأن متوسط عدد مشاهد القتل فيها يبلغ ثمانية آلاف ، وعلى الرغم من أن هذه النسبة المرتفعة يصعب الاعتماد عليها في تحليل تأثير التليفزيون على الطفل كتأثير عالمي يتجاوز حدود الولايات المتحدة ، فإنها تنطوي على إشارة تحذيرية في كل من يعنيهم الأمر: مؤسسات وجهات إنتاج وآباء وأمهات[8].

2- برامج الأطفال التليفزيونية : القناة الأولى مثالاً :

من الملاحظ أن الإنتاج الأجنبي المستورد يهيمن على المواد التي تقدمها القناة الأولى في التليفزيون العربي السوري ، وتشكل أفلام الكرتون النسبة الكبرى من هذا الإنتاج ، ويغلب فيها موضوع المغامرات .

أما الإنتاج العربي فيحتل مكانة متواضعة في مجمل المواد التي تقدمها القناة الأولى، وهذا الكم القليل متواضع في تنوعه وموضوعاته .

ومن خلال المتابعة ، يلاحظ محدودية الإنتاج المحلي الذي تقدمه القناة ، فهي تقدم برامج فقيرة معرفياً ، إلا أنها تركز على قيم اجتماعية وإنسانية .

وقد بلغت نسبة الإنتاج الأجنبي المستورد 78,3٪ من مجمل المواد التي قدمتها القناة الأولى خلال عام 2000م ، وبلغت نسبة الإنتاج المحلي 16,6٪ والإنتاج العربي 5٪ وأفلام الكرتون المستوردة 73,3٪ والعرائس 4,1٪ . أما المواد التمثيلية فبلغت نسبتها 13,3٪، وبلغت نسبة البرامج الثقافية المنوعة 5٪ وبرامج المسابقات 3,3٪[9] .

إن البرامج المعدة محلياً للأطفال لا تحمل أي عنف في مضامينها ، وإنما تحمل قيماً اجتماعية وإنسانية .

أما بعض المسلسلات الكرتونية الأجنبية المستوردة فإنها تحمل بعض مظاهر العنف .

وبالنسبة لتأثيرها في الأطفال في سورية ، فهذا يحتاج إلى دراسات علمية تبين الواقع . وفي هذا المجال أكدت الباحثة هويدة الدر[10] أن هذه الأفلام الكرتونية تجعل الطفل يعيش في الأوهام بسبب رؤية مشاهد المطاردات العنيفة والمثيرة بين شخصيات الكرتون . وهذا العنف المتكرر والمستمر له أثره الخطير على الأطفال الصغار ؛ لأن معظم هذه الأفلام الكرتونية لا تعرض مشاهد إنسانية ملائمة للصغار.

كما أن مضامين بعض هذه الأفلام الكرتونية تنقل مجموعة غير متجانسة من القيم الاجتماعية . ومن المعروف أن الطفل هو أسير لما يعرض عليه ، ويتلقى تلك القيم ويستجيب لها كقيم التسلط وانتصار الشخصية الفردية . وهذه القيم لا تتناسب مع ثقافتنا وبيئتنا .

والطفل المشاهد لا يكتفي ببرامجه ، بل يشاهد أيضاً برامج الكبار على اختلاف أنواعها ، سواء أكانت ثقافية أم علمية أم اجتماعية . ويستفيد منها الطفل نظراً لما تطرحه مضامينها من قيم واتجاهات إيجابية .

أما بعض المسلسلات التي لها طابع الأحداث التاريخية الكبرى (العبابيد مثلاً) فمثل هذه المسلسلات العربية تصور بعض المعارك ومثلها أيضاً بعض مسلسلات الإنتاج الأجنبي التاريخي الذي يعرض أحياناً بعض المعارك مثل (سبارتكوس).

هذه الأعمال لها قيمة تاريخية يمكن استبعاد الطفل من مشاهدتها ، أو إفهام الطفل بأن مشاهد هذه المعارك هي جزء من استكمال المشهد التاريخي ، لا سيما أن الطفل يدرس التاريخ في المرحلة الابتدائية ، كما أن الطفل يشاهد نشرات الأخبار والبرامج التي لها طابع حواري وغير ذلك.

أما ما يعرض في الفضائيات العربية من أفلام العنف الأجنبية وأفلام رعاة البقر والمصارعة الحرة ومصارعة الثيران ، فيحتاج إلى رقابة وحجب الطفل عن مشاهدتها . وإذا كان لا بد من مشاهدة مثل هذه الأفلام ، فيجب أن لا تبث في الوقت الذي يمكن أن يشاهدها الطفل فيه .

كذلك ينطبق الشيء نفسه على البرامج الإخبارية والسياسية التي تبثها الفضائيات أمام الطفل العربي صباح مساء وعلى مدار الساعة ، وتمثل صوراً للإرهاب الصهيوني في فلسطين من قتل وحرق وتمثيل في أجساد الأطفال والنساء والشيوخ والرجال وتكسير عظامهم وتدمير البيوت على رؤوس أصحابها وقلع الأشجار والحصار والتجويع والاعتقال. إن هذا الإرهاب المنظم والمبرمج وحرب الإبادة التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني هي أخطر تحدٍّ يواجه الطفل في سورية وفي الوطن العربي وفي العالم .

ثالثاً : المقترحات والخاتمة

1- إنتاج برامج تليفزيونية للأطفال تلائم ثقافتنا وتلبي حاجات الطفل ونموه العقلي

والعاطفي والمعرفي بأسلوب جذاب ، على أن يشارك في عملية الإنتاج هذه خبراء إعلاميون وتربويون ، ويمكن إنتاج أفلام الرسوم المتحركة (كرتون) إنتاجاً محلياً عربياً ولو بخطوة أولى .

2- الإقلال من أفلام الرسوم المتحركة المستوردة وتشديد الرقابة على مضمونها وأهدافها والاستعانة بخبراء إعلاميين وتربويين لتقييمها وإجازتها واختيار ما يناسب بيئتنا وثقافتنا.

3- إقامة ندوات وبرامج لاختصاصين إعلاميين وتربويين ؛ لتوعية الأسرة وتوجيهها للحرص على ما يقدم للأطفال ومحاورتهم في أثناء فترة المشاهدة .

4- التركيز على القيم في إنتاج البرامج الإذاعية والتليفزيونية التي تحصن الطفل ضد العنف .

5- زيادة برامج الأطفال الإذاعية وكذلك المسلسلات وإقامة حوارات توعية للأسرة .

6- التنسيق بين اتحاد إذاعات الدول العربية ؛ لإنتاج برامج عربية مشتركة للأطفال .

7- تشفير الفضائيات المختصة بالعنف .

8- تشديد الرقابة على النصوص المقدمة للكبار (الأعمال الدرامية) قبل إنتاجها .

إن الاهتمام بتنشئة الأطفال يعتبر أحد العناصر الأساسية للتنمية الشاملة ، نظراً لما يحتله الطفل والذي سيكون رجل المستقبل من أهمية في مجتمعات العالم بشكل عام وفي مجتمعنا العربي بشكل خاص ، والذي يتعرض حالياً لتحديات كبيرة على كافة الصعد. وعلينا جميعاً تقع مسئولية إعداد هذا الجيل .

الهوامش :

1- القاموس المحيط ، الفيروزبادي ، الرسالة ، 1993 ، ص 1085 .

2- أبو عرب ، محمد خير ، المعجم المدرسي ، ط 1، وزارة التربية ، 1985، ص 733 .

3- وسائل الإعلام : هي الأدوات التي تنقل بوساطتها الرسالة إلى أعداد كبيرة من الأفراد المنتشرين في أماكن متفرقة . قد تكون الوسيلة إما سمعية أو بصرية أو سمعية بصرية معاً أو مقروءة ، تختلف كل وسيلة عن الأخرى في نوع الجمهور الذي تتصل به وفي نوع الرسالة التي تحملها ونوع التأثيرات التي تتركها .

4- لمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى كتاب دور التليفزيون في التنشئة السياسية للأطفال، أمل دكاك ، منشورات وزارة الإعلام ، 1991، دمشق .

5- دكاك ، أمل ، تحليل مضمون البرامج والمسلسلات الإذاعية الموجهة للأطفال ، تونس، 2002، اتحاد إذاعات الدول العربية .

6- عبد العزيز ، محمود ، مكانة الطفل العربي في الاستراتيجية الإعلامية العربية ، مجلة الإذاعات العربية، تونس ، 2002 .

7- بلاس ، توماس ، وآخرون ، العنف والإنسان ، أربع دراسات حول العنف والعدوان، ترجمة وتقديم : د. عبد الهادي عبد الرحمن ، بيروت ، دار الطبيعة ، 1990 ، ص 78 .

8- محمود عبد العزيز ، مكانة الطفل العربي في الاستراتيجية الإعلامية العربية ، مجلة الإذاعات العربية، تونس ، 28 .

9- د. أديب خضور ، برامج الأطفال في الخارطات البرامجية التليفزيونية ، اتحاد إذاعات الدول العربي، تونس ، 2002 ، ص 8 .

10- هويدة الدر ، تأثير أفلام الكرتون التليفزيونية على اتجاهات الأطفال ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 2002 م .

المراجـــع :

1- الدر ، هويدة ، تأثير أفلام الكرتون التليفزيونية على اتجاهات الأطفال ، رسالة ماجيستير ، جامعة القاهرة ، 2002 م .

2- بلاس وآخرون ، العنف والإنسان ، ترجمة وتقديم عبدالهادي عبدالرحمن، بيروت ، دار الطليعة ، 1990 ، ص 78 .

3- خضور ، أديب ، برامج الأطفال في الخارطات البرامجية التليفزيونية ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، تونس ، 2002 ، ص 8 .

4- دكاك ، أمل ، دور التليفزيون في التنشئة السياسية للأطفال ، منشورات وزارة الإعلام ، دمشق ، 1991 .

5- دكاك ، أمل ، تحليل مضمون البرامج والمسلسلات الإذاعية الموجهة للأطفال، تونس ، 2002 ، اتحاد إذاعات الدول العربية .

6- عبدالدايم ، عبدالله ، علوم التربية العربية لمواجهة الصراع العربي الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986.

7- عبدالعزيز ، محمود ، مكانة الطفل العربي في الاستراتيجية الإعلامية ، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية ، تونس .

تأثير البيئة الاجتماعية على صحة الطفل

ميسون العطاونة الوحيدي ✪

تؤثر البيئة على الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر ، أو بشكل تفاعلي . ويعتبر الأطفال أكثر الفئات حساسية للعوامل البيئية ؛ لأن أعضاءهم الجسدية تكون في مرحلة النمو السريع نحو النضج ؛ ومن ثم فإن تعرضهم للتلوث البيئي في هذه المرحلة يؤثر سلباً على نمو أعضائهم الأساسية ، مثل الدماغ ، والقلب، والكبد ، والكلى ، بشكل غير قابل للإصلاح ؛ مما يضر بصحتهم ومستقبلهم .

يعيش الأطفال ضمن ثلاثة أنواع من البيئة ، وهي : البيئة الفيزيائية ، والبيولوجية ، والاجتماعية . ويؤثر كل منها على صحتهم ونموهم . وتعتبر البيئة الفيزيائية كل شيء مادي يحيط بالجسم . أما البيئة البيولوجية فتتضمن الوظائف الحيوية الداخلية للجسم وتفاعلاتها مع المواد التي تدخل الجسم ، مثل الهواء والماء والطعام . أما البيئة الاجتماعية، فتتضمن ظروف المعيشة اليومية داخل العائلة أو المؤسسة أو المجتمع ، وكذلك القوانين والأنظمة التي تؤثر عليها.

ولكل مرحلة تطورية من حياة الأطفال ارتباطات مميزة بين الخصائص النمائية وبين البيئة الفيزيائية والبيئة البيولوجية التي قد تضع الأطفال في ظروف خطرة. ولحماية الأطفال من مخاطر التعرض للسموم البيئية ، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار البيئة الاجتماعية بما فيها من العادات والقوانين والأنظمة التي تحدد البيئة المناسبة للطفل .

✪ مدير عام الأسرة والطفل – وزارة الشئون الاجتماعية ، فلسطين .

مفهوم البيئة الاجتماعية

البيئة الاجتماعية تتضمن سلسلة من العوامل البيئية التي تؤثر على الأسرة أو الأفراد، مثل فرص العمل ، ومعدلات الجريمة في المجتمع ، والمعايير والقيم الاجتماعية ، ونوعية ومضمون التفاعلات بين الأشخاص داخل المجموعات ، بالإضافة إلى السياسات والعوامل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

مستويات البيئة الاجتماعية

هناك ثلاثة مستويات في البيئة الاجتماعية تؤثر على صحة الطفل ونموه ، وهي : مستوى الأسرة ، والمستوى المجتمعي ، والمستوى الوطني والحكومي .

أولاً : المستوى الأسري

يتضمن المستوى الأسري عدة عوامل تؤثر على صحة الطفل ونموه ، منها :

أ- تعليم وثقافة الوالدين حول الصحة والمخاطر البيئية ، وكيفية الوصول إلى الخدمات .

ب- اتجاهات الوالدين ، والقيم والعادات المتعلقة بالصحة ، والسلوك الصحي .

جـ- نوعية العلاقات والتفاعلات بين أفراد الأسرة .

د- حجم الضغوط النفسية التي تتعرض لها الأسرة .

هـ- الوضع الاقتصادي للأسرة .

و- علاقة الأسرة بالمؤسسات المجتمعية ، حيث تزيد من قدرتها على الاستفادة من المصادر المتوفرة .

ثانياً : المستوى المجتمعي

يتضمن المستوى المجتمعي الأقران والمدرسة والحي ، والمؤسسات التي تؤثر وجميعها على صحة الطفل ونموه ، من خلال :

أ- المشاركة في مجتمع داعم لقيم وسلوك الأسرة ، بالإضافة إلى الروابط الاجتماعية التي تؤثر في ممارسات الوالدين ، وصحة الأطفال وسلوكهم .

ب- التنظيم الإداري والسياسات والمنهاج والتنظيم الاجتماعي للمدارس ، جميعها تؤثر في مدى تعرض الأطفال لبيئة آمنة أو خطرة ، فطبيعة مجموعة الأقران إما أن تؤثر

بطريقة صحية أو العكس ، وكذلك طبيعة المعلومات الصحية والقيم والمعتقدات التي يكتسبها الطفل في المدرسة ، بالإضافة إلى طبيعة السلوك السائد داخل المدرسة .

جـ- خصائص البيئة المحيطة بالأسرة (الجوار) على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، حيث يسهم التماسك الاجتماعي في الحي الذي يسكن فيه الطفل في الدعم والضبط الاجتماعي.

د- المفاهيم الصحية والاجتماعية السائدة في المجتمع ، تؤثر على سلوك الوالدين ومدى رعايتهم لأطفالهم .

هـ- المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، مثل الفقر ، ومستوى الدخل ، وعدم المساواة، والفصل العرقي والاثني ، ومعدل انتشار الجريمة في المجتمع .

و- مدى توفر وسائل المواصلات ، والقدرة على الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية والمصادر المجتمعية الأخرى ، بما فيها وسائل الترفيه .

ثالثاً : المستوى الوطني والحكومي

يتضمن المستوى الوطني والحكومي عدة عوامل تؤثر على صحة الطفل ونموه ، ومنها:

- السياسات الاقتصادية والاجتماعية (على سبيل المثال المتعلقة بالصحة ، ورعاية الطفل، والتوظيف) .
- التغيرات الاقتصادية ، تؤثر على أنواع وكميات المصادر التي يستثمرها الوالدان في أطفالهما .
- تركيز الإعلام الوطني على الصحة والعلاقات الأسرية ، ويؤثر على سلوك الآباء مع أطفالهم وأساليبهم في التنشئة الاجتماعية .
- الحروب وما ينجم عنها من نكبات إنسانية ، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية . وتجدر الإشارة إلى أن أخطر ما يؤثر على الطفل الفلسطيني هو وجود الاحتلال الإسرائيلي فوق الأراضي الفلسطينية ، مع فرض أجواء الحرب من خلال القتل والاعتقال والحصار العسكري المشدد ، بالإضافة إلى هدم البيوت وتخريب الممتلكات ومصادرة الأراضي ، والاستيلاء على الثروات الطبيعية ، وتدمير البنى التحتية للاقتصاد الفلسطيني؛ مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للأسر الفلسطينية ، بالإضافة إلى تلويث جميع عناصر البيئة ، بما فيها مصادر المياه والغذاء والتربة والهواء بالمواد الكيماوية الخطرة .

تأثير البيئة الاجتماعية على الطفل

تؤثر البيئة الاجتماعية على صحة الطفل ونموه بشكل مباشر ، وقد يكون تأثيرها إيجابياً أو سلبياً ، ومن الممكن أن تعدل أو تخفف من تأثير العوامل الطبيعية والكيماوية على صحته . ومن التأثير الإيجابي للبيئة الاجتماعية الداعمة للطفل : مشاركة الطفل في النشاطات المجتمعية ، واكتساب المهارات المعرفية ، والممارسات الصحية ، والتسامح والتعاطف مع الآخرين ، واستمرارية العلاقات الأسرية والاجتماعية ، والصحة النفسية ، والتكيف مع الأزمات . ومن التأثير السلبي للبيئة الاجتماعية غير الداعمة للطفل : احتمال إصابة الطفل بالأمراض ، مثل الربو ، والسرطان ، والأمراض العصبية ، وكذلك تورط الطفل في مشكلات سلوكية خطيرة ، مثل تعاطي الكحول أو المخدرات ، أو إدمان التدخين، أو السلوك العدواني ، أو الانحراف .

ويعتبر الأطفال الفقراء من أكثر الأطفال تعرضاً لمخاطر البيئة الاجتماعية ، من حيث زيادة نسبة استغلالهم في سوق العمل غير الرسمي ؛ مما يعرضهم لظروف بيئية خطيرة ، بما فيها من المواد الكيماوية السامة على سبيل المثال ، وكذلك تعرضهم لمخاطر واسعة نتيجة التقاطهم للفضلات ، أو إصابتهم بحوادث الطرق ؛ نتيجة عدم وجود ملاعب آمنة وأماكن ترفيه مناسبة . والأطفال الفقراء أكثر تعرضاً للالتهابات التنفسية الحادة ، التي قد تنشأ عن الرطوبة وسوء التهوية في المنزل ، وكذلك التعرض للحروق أو الاختناق ؛ نتيجة وسائل التدفئة غير الآمنة التي يستخدمها الفقراء . ويتعرضون أيضاً إلى مخاطر الإصابة بالإسهال ؛ نتيجة عدم وجود شبكات المياه والصرف الصحي الملائمة . وهناك عدة دراسات تشير إلى أن الفقر يتسبب في قسوة الوالدين ، واتجاهاتهما نحو معاقبة أطفالهما بشكل غير مقبول ، والتناقض في تربيتهم .

أما عن تأثير العلاقات الأسرية ، وسلوك أفراد العائلة على صحة الطفل ونموه ، فقد ورد في تقرير أعده فريق من الباحثين في جامعة لوس أنجلوس في كاليفورنيا (UCLA) كان نتيجة عمل استمر لمدة ست سنوات ، قام خلالها فريق الباحثين بتحليل أكثر من 500 دراسة نفسية وطبية وبيولوجية ، أجريت على مدار عقد من الزمان ؛ تبين من هذه الدراسات أن قلة العناية بالأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ، من قبل الوالدين اللذين فشلا في حياتهما الزوجية ، تتسبب في أخطار صحية شاملة للطفل بشكل غير مقصود

من هذين الوالدين اللذين يحتاجان للرعاية والإرشاد النفسي والاجتماعي . ومن خلال تحليل هذه الدراسات ، تبين بشكل قاطع أن البيئة الاجتماعية للأسرة تؤثر على الصحة البدنية والعقلية للطفل ، وأن الأطفال الذين ينشؤون في أسر تعاني من الصراعات العائلية والعنف الأسري ، يعانون غالباً من مشكلات صحية طويلة المدى ، بما فيها الأمراض الأكثر شيوعاً في المجتمع ، كالسرطان ومرض القلب ، وضغط الدم ، والسكري ، والسمنة، والإحباط ، والقلق ، وكذلك الموت المبكر .

وقد وجد فريق العلماء عدداً كبيراً من الدراسات التي تكشف عن سلسلة من النتائج الصحية الخطيرة على الأطفال الذين نشؤوا في أسر تهمل احتياجاتهم الأساسية ، ولا توفر لهم الدعم والعطف والحنان . بعض هذه النتائج الصحية الخطيرة لا تظهر عليهم قبل مرور عقود من الزمن ، إلا أن بعضها الآخر يظهر في مرحلة المراهقة .

وعدا ذلك .. فالأطفال الذين ينشؤون في أسرة تعيش في ظروف خطرة ، تسودها العلاقات العدوانية ، غالباً ما يتورطون في مرحلة المراهقة أو البلوغ في تعاطي المخدرات والكحول ، والتدخين ، والانحرافات الجنسية ، والعنف ، والتمرد الاجتماعي ، والانحرافات السلوكية .

والأطفال الذين يلاحظون أفراد العائلة يحلون مشكلاتهم من خلال الصراخ والضرب، غالباً لا يتمكنون من تعلم كيفية حل المشكلات التي يستطيع حلها الأطفال الآخرون ، ويكونون أكثر حدة في مواجهة المشكلات الصغيرة عادة ، لحماية أنفسهم من الصراعات التي تحدث داخل الأسرة ، بشكل عدائي مبالغ فيه ؛ مما يتسبب في مواجهتهم مشكلات اجتماعية مع الآخرين خارج نطاق البيت .

وأشارت الدراسات إلى أن الأطفال الذين يعيشون في صراعات أسرية عدائية ، معرضون إلى عدة أنواع من المشكلات الصحية البدنية ، ومعرضون أيضاً إلى مشكلات سلوكية وعاطفية ، بما فيها العدوانية ، والانحراف ، والإحباط ، والقلق ، والانتحار . ومن المعروف أن الأسر التي تعيش في ظروف خطرة موجودة في جميع الطبقات الاجتماعية .

وتؤكد العالمة ريبتي رئيسة فريق الباحثين في جامعة لوس أنجلوس أن بيئة الأسرة التي ترعى أطفالها وتعتز بهم ، يكتسب أطفالها المهارات الاجتماعية ، مثل كسب قبول الأقران ، وضبط انفعالاتهم وعواطفهم . والبيئة الاجتماعية الصحية للأسرة تمكن الأطفال من النمو ، دون الحاجة إلى السلوك الخطر الذي يعبر عن الفشل في التكيف .

أما بالنسبة لتأثير النكبات والأزمات الوطنية على صحة الأطفال ونموهم ، فتشير كثير من الدراسات والبحوث إلى أن معظم الأطفال الذين يترعرعون في أجواء الحرب يكون لديهم نوع من العدوانية ؛ نتيجة الإحباط النفسي الذي يصيب الطفل من جراء فقدانه الحب والحنان داخل الأسرة ، التي تعيش أجواء القلق والتوتر . ويزداد الميل إلى العدوانية وفق المدة التي يقضيها الطفل في أجواء الحرب ، حيث يرى الطفل أن العنف هو اللغة المفضلة للحياة ، إضافة إلى ممارسته العنف تجاه الأطفال الآخرين ؛ وذلك نتيجة لمشاهدته لممارسات العنف اليومية التي تجري أمامه . كما أن من أبرز الآثار السلوكية: التشتت العاطفي ، وفقدان الأمن والاستقرار . ويعتبر الشعور بالأمن والاستقرار من أهم العوامل المساعدة في النمو العاطفي والوجداني للطفل .

التوصيات

وأخيراً فإننا نتساءل : كيف نستطيع المساهمة في خلق بيئة اجتماعية صحية للطفل؟ وللإجابة عن هذا السؤال علينا أن نعمل على جميع المستويات .

أولاً : المستوى الأسري

1- تطوير برنامج تثقيف الوالدين في مجال الصحة والمخاطر البيئية .
2- تعزيز البرامج الإرشادية الهادفة لدعم استقرار الأسرة وحل المشكلات الأسرية .
3- تحسين المستوى المعيشي للأسر الفقيرة التي لديها أطفال .
4- توعية الأسرة بمصادر الخدمات المتوفرة في المجتمع ، من خلال نظام التحويل ، وتوفير النشرات التي تتضمن البيانات اللازمة للوصول إلى هذه الخدمات .

ثانياً : المستوى المجتمعي

1- تفعيل دور المؤسسات الأهلية في تعزيز التضامن الاجتماعي والقيم والعادات الصحية.
2- إكساب الأطفال مهارات الحياة المتعلقة بتقدير الذات ، ومواجهة الضغوط ، وعدم الرضوخ لرفاق السوء .

3- تعزيز مفهوم العمل التطوعي الاجتماعي ، وإشراك الأهالي والأطفال في الأنشطة المتعلقة بالمحافظة على البيئة .

ثالثاً : المستوى الوطني والحكومي

1- الضغط على صانعي القرار لأخذ احتياجات الطفل الصحية والنمائية بعين الاعتبار عند وضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية .

2- دعوة وسائل الإعلام الرسمية والأهلية إلى التركيز على البرامج الصحية والاجتماعية، وخصوصاً في مجال العلاقات الأسرية .

3- تطوير برامج الدعم النفسي الاجتماعي للأطفال ، والأسر ضحايا العنف الإسرائيلي، وزيادة نسبة الفئات المستفيدة من هذه البرامج .

المراجـــع :

1- جريدة الرياض اليومية (2003) "أطفال العراق .. نفوس مثخنة بجراح الحرب" ،7 ربيع الأول 1424، العدد 12739 ، السنة 38 .

2- Bachrach, Chris. "Social environment working group presentation summary".http://www.nationalc hildrensstudy.gov/committees/social/ summary . cfm .

3- Bearer, Cynthia. (1995) . "Environmental health hazards : how children are different from adults". Critical Issues for Children and Youths. Vol.5. No 2-Summer/ Fall 1995 .

4- Repetti, Rena & others (2002). "Children from risky families suffer serious long - term health consequences: UCLA Scientists Report. Psychological Bulletin. Vol. 128, No . 2,pp. 330 - 336 .

5- WHO. (2003). "Shape the future of life, healthy environments for children". http://www afro. who. int/whd-2003 / whd.html .

رياض الأطفال وحقوق الطفل في الواقع المصري

أسماء عواد ✪

إن التربية – بشكل عام – هي من أهم احتياجات الإنسان . وتربية الأطفال – وبالأخص طفل ما قبل المدرسة – تعد المدخل الأساسي إلى توفير هذه الاحتياجات . وقد ازداد الاهتمام بهذه المرحلة ، بعد أن أثبتت الدراسات أن الانحرافات الاجتماعية والاضطرابات النفسية إنما تعود جذورها إلى مرحلة الطفولة ، وبخاصة مرحلة ما قبل المدرسة ، التي هي أكثر المراحل العمرية تأثيراً في حياة الإنسان ، إذ أثبتت الدراسات أن 80٪ من قدرات الإنسان العقلية تعود إلى السبع سنوات الأولى من عمره[1] .

هكذا جاءت الصحوة ، بعد أن أدرك العالم الخطأ الجسيم والأخطار الناتجة عن تجاهل الطفل ، والتعامل معه على أنه ذلك الكائن الضعيف الذي يحتاج إلى فرض الوصاية والسيطرة ، وأصبح التعامل معه على أنه ذلك الراشد الصغير ، الذي ترتفع احتياجاته إلى أمور تتعدى الطعام والمأوى والعلاج .

وبذلك نجد الطفل قد أصبح قريباً إلى عالم الكبار ، يحتاج إلى من يحترم ذاته ويتعامل معه كفرد مستقل ، له ما للكبار من اعتبارات وحقوق . ومن هنا برزت الحاجة إلى تشريع يضمن توفير هذه الاحتياجات . وقد تعددت التشريعات التي وضعت من أجل هذه الحقوق ، كان أولها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، الذي أقرته الأمم المتحدة في عام 1948م ، ثم إعلان حقوق الطفل ، الصادر عن الأمم المتحدة في نوفمبر 1959م ، ثم جاء ميثاق حقوق الطفل العربي الذي أقره مؤتمر وزراء الشئون العرب في ديسمبر 1984م، ثم

✪ كاتبة أدب الطفل ، وباحثة في مجال حقوق الطفل .

اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل عام 1990م. وفي مصر كانت هناك عدة محاولات تشريعية تهتم بشئون وحقوق الطفل ، كان آخرها القانون رقم 12 لسنة 1996 ، الخاص بأحكام حقوق الطفل ، الذي زامن إعلان وثيقة العقد الأول لحماية الطفل المصري ورعايته (1990 – 2000) ، ثم وثيقة إعلان العقد الثاني لحماية الطفل المصري ورعايته (2000– 2001) .

وبالرغم من وجود كل هذه التشريعات ، فإننا نجد أن تربية طفل ما قبل المدرسة لم تحظَ بالاهتمام الكافي من قبل بعض الدول ، وأن معظمها متروك للجهود الذاتية والأعمال الاستثمارية ، حيث يعتبر البعض مرحلة رياض الأطفال وسيلة لتحقيق الربح ، وأصبح التعامل مع الطفل ينطلق من كونه سلعة ، يؤخذ منها أكثر مما يصرف عليها .

وقد أثبتت بعض الدراسات والبحوث وجود قصور في الإشراف على هذه المؤسسات أو التخطيط لها ، ومن أبرز أوجه القصور : أن عدد مؤسسات رياض الأطفال – مقارنة بعدد الأطفال في سن ما قبل المدرسة – قليل جداً ، ونسبة استيعاب المدارس لا تتعدى 5٪ من إجمالي عدد الأطفال في معظم الدول العربية .

وقد لوحظ وجود عدة مخالفات تتعارض مع حقوق الطفل ، ومنها العقاب البدني ، وإهمال معايير السلامة ، وعدم ملاءمة الأبنية وساحات الألعاب للمواصفات القياسية . وهكذا تكون الحاجة ماسة إلى دراسة واقع رياض الأطفال في ضوء مبادئ ميثاق حقوق الطفل ، من عدة جوانب :

اللعـــب

بالرغم من أهمية اللعب في هذه المرحلة ، حيث يعتبره "فروبل" السلوك الذي يمكن من خلاله التعرف على قدرات الطفل وإمكانياته ، فإنه يظل التعامل مع طفل الرياض قاصراً على الجانب التعليمي فقط [2] . كما تقوم بعض الدور بحرمان الطفل من أوقات اللعب ، أو تقليصها إلى 15 دقيقة فقط في اليوم ، وإضافة الوقت إلى الحصص الدراسية . هذا بالإضافة إلى عدم وجود ساحات لممارسة اللعب الحر في معظم دور الحضانة ، إذ يتم إنشاؤها في مبنى سكني ، لم يُعَدّ منذ البداية لاستقبال الأطفال ؛ مما يؤدي إلى حرمان الطفل من أهم احتياجاته في هذه المرحلة . وهذا يتنافى مع المبدأ الحادي عشر من مبادئ

ميثاق حقوق الطفل ، الذي ينص على : "ضمان حق الطفل في الثقافة المستمرة ، وفي حسن استثمار أوقات الفراغ ، وفي الترفيه عن نفسه باللعب والرياضة والقراءة" .

تدريب المعلمات

في الوقت الذي ينادي فيه المجتمع الدولي بأهمية تدريس حقوق الطفل بكليات التربية، ورياض الأطفال ، والكليات الأخرى التي يتعامل خريجوها مع الأطفال ، نجد أن :

1- معظم المعلمات في دور الحضانة غير مؤهلات تربوياً ، بل إن بعضهن حاصلات على الشهادة الإعدادية فقط ، أو الثانوية .

2- لا يوجد تدريب تربوي للمعلمات الحاصلات على المؤهلات العليا غير التربوية ، مثل كلية التجارة ، وغيرها .

3- لا يوجد لدى المعلمات أي معرفة – ولو هامشية – بحقوق الطفل ؛ لمراعاتها في تعاملهن مع الأطفال ، وهذا يتنافى مع المبدأ الثامن والعشرين الذي ينص على : "الاهتمام بأمر التدريب ، الذي يشمل القيادات المهنية المتخصصة في مجالات رعاية الطفولة والأمومة وخدماتها ، كما يشمل القيادات المحلية وقيادات التنظيمات الأهلية والشعبية" .

العقاب الجسدي

تنص الفقرة (أ) من المادة (37) من اتفاقية حقوق الطفل على ما يلي : "ألا يعرض أي طفل للتعذيب ، أو لغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية ، أو اللاإنسانية ، أو المهينة" . وبالرغم من ذلك يستخدم الضرب كوسيلة لعقاب الطفل وحل المشكلات في معظم روضات الأطفال . ويؤدي هذا إلى إكساب الطفل الميول العدوانية ، وإلى إشعاره بالقهر والهوان ، وربما الخوف والتبعية . إن تعرض الطفل للتعذيب الجسماني ، من ضرب وتعذيب ، مثل رفع الأيدي إلى الأعلى ، أو الوقوف على قدم واحدة ، وغير ذلك من أنواع العقاب ، يؤدي إلى إهدار كرامته وإنسانيته . إن هذا النوع يتنافى مع مبادئ حقوق الطفل في جميع المواثيق والاتفاقيات . وللأسف ، لا يوجد قانون رادع يوقف إرهاب وتعذيب الأطفال ، وبالأخص الواقع عليهم من قبل الآباء والمعلمين .

وفي الوقت الذي لا يستطيع فيه الطفل حماية نفسه أو مستقبله ، نأمل من القائمين على التربية أن يقوموا برعايته وحمايته ، وأن يقدموا للمجتمع شخصاً قادراً على الإسهام الإيجابي في حَيِّه ومجتمعه وأمته، كما ينص الميثاق .

الإشراف

تتعدد جهات الإشراف على دور الحضانة ورياض الأطفال في مصر ؛ مما يؤدي إلى خلق أنماط من الصراعات والإحباطات والتناقضات بين كل روضة وأخرى ؛ مما ينعكس على تكوين شخصية الطفل ، وتحقق الأهداف المرجوة من إنشاء تلك الروضات حسب ما هو متضمن بوثيقة استراتيجية تنمية الطفولة والأمومة في مصر ، الخاصة بالمجلس القومي للطفولة والأمومة عام (1960)[3] .

وقد كشفت الدراسات التي أجريت حول تعدد جهات الإشراف عن وجود فروق دالة إحصائية بين أطفال الرياض التي تتبع وزارة التربية والتعليم وأطفال الرياض التي تشرف عليها جهات أخرى ، وجاءت هذه الفروض لصالح وزارة التربية [4] ؛ مما أدى بفريق البحث إلى إلحاق توصية بضرورة توحيد جهات الإشراف ؛ لتكون هناك جهة واحدة فقط، هي المسئولة عن وضع الأهداف التربوية والتخطيط للبرامج والأنشطة ، كما جاء بالمبدأ الخامس والعشرين الذي ينص على "الإسراع بالتنمية القومية الشاملة ، والالتزام بالتخطيط العلمي لتنمية ورعاية الطفولة ، والاهتمام بوضع برامجها ، وتنظيمها ، وإدارتها، وتنفيذها ، ومتابعة نتائجها ، وتقويم مسارها" ، والمبدأ الحادي والثلاثين الذي ينص على "إعطاء المزيد من الاهتمام والجهد لرعاية وتربية طفل ما قبل المدرسة ، والعمل على توفير مختلف الصيغ المؤسسة من دور الحضانة ورياض الأطفال والكتاتيب والساحات والحدائق وأندية الطفل ، نظراً إلى الأهمية الاستراتيجية لهذه المرحلة في حياة الطفل الحاضرة والمستقبلية ، وفي تكوين شخصيته" .

الأنشطة والبرامج

تشير جميع الدراسات إلى وجود قصور في البرامج المستخدمة في دور الأطفال . ومن أبرز هذه الأوجه ما يلي :

1- التركيز على الجانب المعرفي والتعليمي فقط ، وإهمال الجوانب الأخرى اللازمة لنمو الطفل في هذه المرحلة .

2- عدم تحقيق المناهج للهدف الأول من أهداف رياض الأطفال ، وهو "التنمية الشاملة والمتكاملة لكل طفل في المجالات الحركية والانفعالية والاجتماعية والخلقية ، مع الأخذ في الاعتبار الفروق بين الأطفال" .

3- عدم فاعلية البرامج والأنشطة والمهارات المتعددة ، التي تنمي القدرة على الإبداع والتفكير .

4- غياب فلسفة "فروبل" التي تقوم على التعلم من خلال اللعب والنشاط الذاتي من المناهج والبرامج المستخدمة في هذه المرحلة .

كل هذا يتنافى مع ما تنادي به اتفاقية حقوق الطفل ، وبرز هذا في المادة (29) التي نستخلص منها ضرورة أن يكون الهدف الأول من التعليم هو إعداد الطفل للحياة ، كما يجب أن تسهم التربية في إعداد إنسان قادر على المشاركة الإيجابية ، وهذا ما يسعى التربويون للخلاص منه ، حيث يعتمد نظام التعليم القائم على التلقين ، واسترجاع الموروث، وتحليله ، وشرحه ، وذلك بالرغم من تطور العصر ، والتحول من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء . وهذا يؤدي إلى ما وصفه الدكتور "طه حسين" عن نتاج هذه النظم بأنها "تكون إنساناً ضعيف العقل ، فاسد الرأي ، مشوه التفكير ، عاجزاً عن الفهم والحكم ، ومستعداً للتأثر بكل ما يُلْقَى إليه"[5]. كل هذا يتنافى مع المبدأ الثامن من ميثاق حقوق الطفل العربي ، الذي ينص على "أن يكون محور الاهتمام في تربية الطفل بإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والروحية والاجتماعية" .

الجانب الصحي

إن المتتبع لواقع دور الحضانة ورياض الأطفال في مصر يلاحظ الآتي :

1- عدم ملاءمة النظام والمناهج لاستقبال الطفل المعوق ، بالرغم من التحاق هؤلاء الأطفال بها .

2- خلو معظم الدور من طبيب دائم ، أو ممرضة دائمة ؛ لمتابعة الطفل صحياً ، أو لإجراء الإسعافات الأولية له عند وقوع بعض الحوادث .

3- عدم مراعاة المواصفات القياسية ومعايير السلامة في مبنى الروضة ومرافقه ، من ساحات اللعب ، والفصول ، والألعاب ... إلخ ؛ مما يؤدي إلى تكرار وقوع الحوادث ، مثل : السقوط من أعلى ، أو الاصطدام بالحوامل الحديدية ، وغيرها . وهذا يتنافى مع المبدأ العشرين من ميثاق حقوق الطفل العربي ، الذي ينص على "توفير الرعاية الصحية الكاملة في وجوهها الوقائية والعلاجية لكل طفل"[6] .

كل هذا يحدث في الوقت الذي تؤكد فيه الوثائق الخاصة بحقوق الطفل على ضرورة تطبيق معايير الجودة للخدمات الصحية ، وضرورة وجود البرامج المتكاملة لتعزيز الصحة الجسمانية ، وتعطي أهمية متساوية لجميع الجوانب ، دون إهمال لجانب من الجوانب . وقد ورد هذا في وثيقة إعلان العقد الثاني لحماية الطفل المصري ورعايته (2000 – 2001) في النص الآتي :

- إقرار حق الطفل في برامج متكاملة لتعزيز الصحة ، والقضاء على نقص المكونات الغذائية الدقيقة (الحديد – اليود – فيتامين أ – الزنك – الفلورين) .
- تطبيق معايير الجودة للخدمات الصحية ، وضمان وصول خدمات الطفولة إلى المناطق النائية وإلى أشد الفئات احتياجاً .
- استمرار دعم البرامج الخاصة بخفض معدل انتشار الأمراض المستوطنة .

وبالرغم من ذلك .. نجد في المقابل أن التشريعات الخاصة بالطفولة لا تهتم بالرعاية الصحية الشاملة والمتكاملة ، وتعطي الأولوية لضمان خلو الطفل من الأمراض أو العجز، عن طريق توفير التطعيمات[7] ، ويعبر معدل وفيات الأطفال دون الخامسة عن الأوضاع الصحية السيئة ، وعن المستوى الاجتماعي الاقتصادي لأبناء هذا المجتمع . وهذا المعدل يضع مصر في الترتيب السادس عشر بين الدول العربية ، أي قبل جيبوتي والسودان والصومال واليمن وموريتانيا . والمثير للدهشة أنه بالرغم من الحديث المتواصل عن تحسن الشروط الصحية ، فإن معدل وفيات الأطفال دون الخامسة قد ارتفع من سبعين في الألف (1986/83) إلى 89 في الألف (1993/91) ، في حين نجحت بلدان ، كاليمن والسودان ، في خفض المعدل[8] .

المجانية والإلزام

جاءت وثيقة "مبارك والتعلم" سنة (1992) لتؤكد على أهمية مرحلة رياض الأطفال في كونها المرحلة الحرجة والحساسة من حياة الطفل ، وأكدت على ضرورة تخصيص عدة فصول في كل مدرسة جديدة لمرحلة رياض الأطفال ؛ لأن هذا يعتبر مؤشراً قوياً للاستمرار والنجاح في المراحل الدراسية ، كما ينص المبدأ الحادي عشر من ميثاق حقوق الطفل العربي على : تأكيد كفالة وحق الطفل في التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي .

وبالرغم من ذلك .. نجد أن الدستور المصري عندما تطرق إلى التعليم – كحق من حقوق الطفل ، وأنه حق إلزامي تكفله الدولة – قصره فقط على المرحلة الابتدائية ، وأشار إلى عمل الدولة على إلزام هذا الحق في مراحل أخرى ، ونأمل أن تكون رياض الأطفال إحدى هذه المراحل .

لو أننا نظرنا إلى التشريعات المصرية والقانون المصري نظرة تحليلية ؛ لوجدنا أن هناك فرقاً شاسعاً بين هذه التشريعات وما تقره اتفاقية حقوق الطفل . "كما تكشف القراءة الموضوعية لواقع الطفل في مصر عن زيف بعض جوانب الصورة التي تعرضها وسائل الإعلام لواقع الطفل في مصر ، إلا أنه من الجدير التنويه بأن ذلك لا يعني أن هناك إهمالاً مطرداً من جانب الدولة لاحترام تلك الحقوق ، حيث إن هناك بعض الانعكاسات الإيجابية لذلك الاهتمام"[9] .

توصيات

1- العمل على نشر ثقافة حقوق الطفل ، واعتبارها مسئولية إنسانية يجب أن تشارك فيها الجهات الحكومية والأهلية معاً .

2- تخصيص وزارة مستقلة لحقوق الإنسان أو لرعاية الطفولة – أسوة بوزارة الشباب والرياضة – تتولى الإشراف على جميع المؤسسات التي تعنى بالطفولة . وجدير بالذكر هنا أن نذكر أن المغرب هي القطر الوحيد الذي خصص وزارة لحقوق الإنسان . وقد قامت هذه الوزارة – بالتعاون مع وزارة التربية الوطنية – نتيجة اتفاقية تعاون بينهما في 24 ديسمبر 1994.

3- تفعيل اتفاقية حقوق الطفل ، عن طريق صياغتها في قانون له صفة تنفيذية ، تتبناه الدولة ، حيث يقوم بإعمال هذه الحقوق وصياغتها ، ووضع عقوبات صارمة لانتهاكها. وعلينا أن نعتبر وجود هذا القانون تعبيراً صريحاً عن ضمير المجتمع تجاه حقوق الطفل الإنسانية .

الهوامش :

1- بدوي ، قاسم يوسف ، اتجاهات حديثة في تربية أطفال الرياض ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة التربية ، تونس ، 1986 ، ص 94 – 95 .

2- محمد ، عواطف إبراهيم ، تعلم الطفل في دور الحضانة بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983 ، ص 56 .

3- حسن ، بهي الدين ، مهام الحركة العربية لحقوق الإنسان ، عن المؤتمر الدولي الأول للحركة العربية لحقوق الإنسان ، الدار البيضاء ، 1999، ص 48.

4- قناوي ، هدى ، وعبدالله ، عادل ، دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة ببعض جوانب النمو لأطفال الروضة في مستقبل التربية العربية ، المجلد (2 عدد 1) القاهرة ، 1996 ، ص 155 .

5- قناوي ، هدى ، وآخرون ، تعدد جهات الإشراف على دور الحضانة ورياض الأطفال ، وأثره في تكوين شخصية الطفل ، المؤتمر الأول لتطوير برامج إعداد معلمات دور الحضانة ورياض الأطفال، القاهرة ، 1992 .

6- هنداوي ، مشيرة أحمد سالم ، نظم تربية طفل ما قبل المدرسة في ضوء مفهوم التعلم للجميع ، جامعة الزقازيق : كلية التربية ، 2001 .

7- سرور ، أحمد فتحي ، ورسلان ، نبيلة إسماعيل ، حقوق الطفل في القانون المصري ، 1998 .

8- فوزي ، عصام ، المرأة – الطفل – القانون ، وقائع ورشة العمل المنعقدة في اطسا ، اطسا ، 1995.

9- قاعود ، علاء ، نحو فرض المزيد من الحماية على حقوق الطفل ، مجلة سواسية ، عدد 29، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، القاهرة ، 1999 .

تجـــــارب قطـــريـــة

مشروع الخطة العشرية الثانية للطفولة (2002 – 2010)

(الإطار العام – المقاربة – الأهداف)

سلوى العـــيـــاشي اللبـــان

مشروع الخطة العشرية الثانية للطفولة (2002 - 2010) (الإطار العام - المقاربة - الأهداف)

عرض . سلوى العياشي اللبان ✪

حرصاً من هيئة تحرير مجلة الطفولة والتنمية على تعميم الفائدة في مجالات الطفولة، فإنها تعرض في هذا العدد مشروع الخطة العشرية الثانية للطفولة في الجمهورية التونسية (2002 – 2010) ، باعتباره تحقيقاً لوثيقة عالم جدير بالأطفال .

والخطة العربية الثانية للطفولة ، تم الاعتماد في إعدادها على منهجية تنطلق من تقييم الوضع الراهن للطفل ، الإنجازات المتحققة والتحديات المطروحة ، وهي منهجية مكنت من التشخيص المقارن والموضوعي لوضعية الطفولة في مختلف المجالات ، ومن ثم تحديد محاور الاستراتيجية المستقبلية وضبط أهدافها بكل دقة .

وقد تم تكوين لجنة وطنية متعددة الأطراف تضم ممثلين عن الوزارات ذات العلاقة والمنظمات الحكومية وخبراء في مجال الطفولة بإشراف وزارة شئون المرأة والأسرة والطفولة ، تفرعت هذه اللجنة إلى خمس لجان فنية :

- لجنة التشريعات وحقوق الطفل .
- لجنة الصحة الجسدية والنفسية .
- لجنة التربية .
- لجنة حماية الطفولة .
- لجنة الطفل في الأسرة .

وقد تناولت هذه اللجان بالدرس المعمق مختلف القضايا المتصلة بأوضاع الطفل في تونس وتحديد الإشكاليات والأهداف .

✪ كاتبة الدولة لدى وزيرة شئون المرأة والأسرة والطفولة المكلفة بالطفولة .

وقد توصلت هذه اللجان إلى إعداد تقرير تـأليفي لهذه الخطة تمت مناقشته وإثراؤه خلال ندوة استشارية وطنية شاركت فيها مختلف الكفاءات الوطنية في مجال الطفولة ، حيث شملت ممثلين عن الوزارات والمؤسسات ذات العلاقة على المستويين الوطني والجهوي.

كما تم تنظيم استشارات إقليمية ، وذلك من منطلق الحرص على تشريك أكبر عدد ممكن من الإطارات والكفاءات الوطنية المختصة في قطاع الطفولة بمختلف الجهات ، شارك فيها ما يقارب 1300 مشارك في مختلف الكفاءات الجهوية العاملة من قطاع الطفولة .

كما تم عرض مشروع تقرير الخطة العشرية على برلمان الطفل ؛ لإبداء الرأي حوله، وتشريك الأطفال من خلال هذه الهيئة في مزيد إثرائه .

وتتنزل هذه الخطة ضمن المبادئ والتوجهات الواردة في الوثيقة "عالم صالح للأطفال" المتضمنة لخطة العمل الدولية لفائدة الطفولة (2002 – 2010) التي دعت إلى الالتزام بتحقيق الأولويات التالية :

- بداية طيبة لكل طفل .
- تمكين كل طفل من تعليم أساسي جيد .
- حماية الأطفال من شتى أشكال سوء المعاملة والاستغلال .
- إتاحة الفرصة لكل مراهق لتنمية قدراته والمشاركة في بناء المجتمع .

كما انبنت هذه الخطة على ما تم تحقيقه من إنجازات ومكاسب لفائدة الطفولة خلال العشرية المنقضية (1992 – 2001) .

وبعد تحليل معمق لوضع الطفولة في تونس يتضح أن الخطة العشرية الأولى حققت مجمل الأهداف الكمية والنوعية التي تضمنتها ، بل تجاوز الإنجاز في بعض المحاور الأهداف المرسومة . وهو ما تبرزه العديد من المؤشرات والمكاسب .

في المجال الصحي :

ما يمكن الإشارة إليه في تقييم الوضع الصحي للطفولة أن ما وضعته تونس من برامج صحية لفائدة الأم والطفل يؤكد التزام بلادنا التام بالعمل من أجل ضمان حق الطفل التونسي في البقاء . وقد تمكنت تونس ، بفضل السياسات المنتهجة في هذا المجال،

والتي اعتمدت مقاربة شاملة ، تحرص على توفير الخدمات الضرورية والرعاية الصحية المتكاملة للأم والطفل في المدن والأرياف ، من تحقيق إنجازات هامة ورائدة ، وهي :

- انخفاض معدل وفيات الأطفال دون 5 سنوات بنسبة 50٪ خلال الفترة المتاحة ما بين 1990 و2000 ؛ لتبلغ 30 في الألف مقابل 60 في الألف . كما انخفض معدل وفيات الأطفال الرضع بـ 48٪ خلال نفس العشرية ؛ لتبلغ 22 في الألف مقابل 45 في الألف قبل سنة 1990 .
- ارتفاع نسبة التغطية بمختلف التلاقيح على المستوى الوطني إلى ما يقدر بـ 95٪ .
- بلوغ نسبة التغطية للعيادات أثناء الحمل إلى 92٪ .
- بلوغ تطور الولادات بالمؤسسات الاستشفائية 90٪ ؛ مما ساعد على الحد من حالات الوضع المعرضة للخطر والوقاية من الإعاقات لدى المواليد الجدد .

في الميدان التربوي

أولت تونس عناية كبيرة للتربية قبل المدرسية ، ففي مرحلة الطفولة المبكرة (0 – 3) سنوات أقرت الدولة العديد من التشجيعات والحوافز ؛ للنهوض بقطاع احتضان الطفولة ورعايتها . وقد أمكن تحقيق تطور هام يبرز من خلال :

- تطور نسبة التغطية بمؤسسات التربية قبل المدرسية (رياض الأطفال – الكتاتيب – أقسام السنة التحضيرية) إلى 27,65٪ سنة 2003 .
- ارتفاع نسبة تمدرس الأطفال في سن 6 سنوات إلى 99,1٪ والأطفال في سن 6– 12 سنة إلى 92٪ .
- انخفاض معدلات الانقطاع المدرسي إلى أقل من 2٪ في مختلف مراحل التعليم الأساسي .
- تراجع نسب الرسوب لجميع المستويات إلى 8,9٪ .

ويمثل إقرار إحداث أقسام السنة التحضيرية لإعداد الأطفال (5 – 6) سنوات عاملاً هاماً في توفير التعليم الجيد وتكريس الفرص المتكافئة أمام أطفال تونس في تنمية مهاراتهم وقدراتهم .

كما تم إرساء برنامج مدرسة الغد الذي يهدف بالأساس إلى تحسين نوعية التعليم وتطبيق المناهج العصرية في التدريس والتواصل بين المدرس والتلاميذ .

أما على مستوى العناية باليافعين

تمثل المراهقة مرحلة دقيقة من حياة الطفل ، حيث تتسم هذه الفترة بالحيوية وتدفق المشاعر وبالخيال الخصب وبالرغبة الجامعة في التعبير على الذات . فقد تم تحقيق العديد من الإجراءات لتعزيز تشريك الأطفال ، من أهمها :

- بعث مجالس بلديات خاصة بهم ، تهدف إلى تدريبهم منذ الصغر على تحمل المسئولية وتجذير الحس المدني لديهم ، ثم تعميمها لتشمل كل الجهات .
- إحداث برلمان الطفل كفضاء للحوار ومشاركة الأطفال في الشأن العام ؛ ليدعم هذا التوجه ، ويساعد الطفل على إدراك مفاهيم الديمقراطية والمشاركة في الحياة العامة، وتمكينه من إبداء الرأي في المشاريع والبرامج الخاصة بمجال الطفولة ، ونشر ثقافة حقوق الطفل .

وتواصلت المجهودات من أجل تكريس حق الطفل في الترفيه والمشاركة في الحياة الثقافية واكتسابه مقومات الثقافة الرقمية من خلال :

- تأهيل 24 نادياً في إطار الخطة الوطنية لتطوير نوادي الأطفال بإدراج 3 فضاءات جديدة (الإعلامية – اللغات – الأنشطة العلمية) ودعمها بالتجهيزات والإطارات المختصة؛ مما ساهم في ارتفاع عدد روادها من 2733 سنة 2002 إلى 8347 سنة 2003 .
- تكوين أكثر من 100 ألف طفل في الإعلامية بالمراكز الإعلامية الموجهة للطفل .

في مجال التنشئة والعناية بالأسرة

تركزت خياراتنا السياسية في هذا الإطار على تعزيز قدرات الأسرة لمواكبة مختلف التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية ؛ بقصد تنشئة الأجيال تنشئة سليمة. كما أن دور الأسرة في رعاية الطفولة يبقى دوراً أساسياً لا محيد عنه مهما توفرت

البدائل الأخرى ، إذ إن حوالي 75٪ من الأطفال في سن (3 – 5 سنوات) لا يرتادون رياض الأطفال ، وهو ما استلزم إعطاء الأولوية لتأهيل الأسرة والرفع من قدرات الأولياء في مجال تنشئة الأجيال ورعاية الأطفال في المرحلة ما قبل المدرسية .

وفي هذا السياق يتواصل تنفيذ الخطة الوطنية الثانية لفائدة الأسرة الرامية إلى :

- تطوير قدرات الأسرة على التنشئة على القيم المدنية .
- دعم دورها في رعاية الأطفال والمراهقين .
- إعداد الأجيال للانخراط في مجتمع المعرفة .

في مجال الحماية والرعاية الاجتماعية

تعتبر حماية الطفولة من الأولويات الوطنية ، حيث تتدخل العديد من القطاعات بصفة مباشرة في تنفيذ البرامج والآليات وفق توجهات وطنية طموحة تراعى خصوصيات الفئات المستهدفة . وقد تعددت برامج حماية الطفولة في تونس ، وتنوعت ؛ لتشمل جل الفئات من الطفولة ذات الاحتياجات الخصوصية ، واعتمدت هذه البرامج في تنفيذها على متدخلين من مختلف الاختصاصات والمجالات والقطاعات .

وقد تم في هذا الإطار

- تنقيح عديد من القوانين بهدف تحسين الوضعية القانونية والمدنية للطفل في مختلف المجالات (مجلة الأحوال الشخصية – المجلة الجنائية – مجلة الإجراءات الجزائية – مجلة الالتزامات والعقود – قانون المخدرات – قانون إسناد لقب عائلي للأطفال المهملين أو مجهولي النسب ..) .
- إصدار العديد من الأوامر والقرارات والمناشير الوزارية لضبط الإجراءات الكفيلة بتحقيق حماية ورعاية الطفولة ، وهو ما كرسه الإجراء الرائد والمتمثل في إصدار مجلة حماية الطفل .
- إحداث وتعميم سلك مندوبي حماية الطفولة بمختلف الولايات .
- إقرار خطة مندوب عام لحماية الطفولة ؛ وذلك لتطوير التدخلات الوقائية والحمائية، للطفولة المهددة .

- إقرار واجب إشعار المندوب بوضعيات التهديد والتي تتخذ إزاءها تدابير حمائية مختلفة بالتنسيق مع القضاء .
- تطوير شبكة الهياكل والمؤسسات المختصة في حماية الطفولة ، وتدعم وظائفها وأدوارها خلال العشرية المنقضية ، حيث تم بالخصوص إحداث 10 مراكز للدفاع والإدماج الاجتماعي .
- إحداث مرصد الإعلام والتكوين والتوثيق والدراسات حول حماية حقوق الطفل بوزارة شئون المرأة والأسرة والطفولة (أمر عدد 327 لسنة 2002 مؤرخ في 14 فيفري 2002) .
- إعادة هيكلة المراكز المندمجة للشباب والطفولة بوزارة شئون المرأة والأسرة والطفولة ، والتي يبلغ عددها 21 مركزاً ، ويستفيد من خدماتها أكثر من 3000 طفل، وتطوير برامجها وتدخلاتها ، وإحداث مؤسسات رعاية الطفولة بنظام نصف الإقامة أو المتابعة بالوسط العائلي ، حيث بلغ عددها 67 ، ويبلغ عدد المنتفعين بخدماتها أكثر من 3000 .

أهم التحديات

إن تكريس الرؤية الديناميكية لحماية الطفل في مجتمع متحفز إلى مزيد من التقدم، ويعيش تطورات متواصلة على جميع المستويات ، يقتضى مواصلة تدعيم المكاسب القانونية والمؤسساتية بانتهاج مقاربة استراتيجية متكاملة في مجال رعاية الطفولة تأخذ بعين الاعتبار التحديات القائمة ، والتي من أبرزها :

- معدلات وفيات الرضع في الأشهر الأولى من الحياة : حيث تمثل هذه النسبة خلال الشهرين الأولين من ولادتهم الثلثين من وفيات الأطفال دون السنة ونسبة النصف من وفيات الأطفال دون 5 سنوات .
- إمكانيات الوقاية من الإعاقة بصفة مبكرة لدى الأطفال .
- التواصل بين المدرسة والبيئات التربوية الأخرى وخاصة الأسرة .
- الأنشطة الترفيهية الموجهة لليافعين .
- تنفيذ بعض التدابير القانونية والإجراءات القضائية والإدارية لحماية الطفل .

- التنسيق بين مختلف الأطراف المتدخلة وتعدد المقاربات والمناهة في التدخل .
- تقييم مردودية البرامج والخدمات المتوفرة في مجال حماية الطفولة .
- التوازن بين الجهات والأوساط الحضرية وغير الحضرية فيما يتعلق بتوفير خدمات الحماية من برامج ومؤسسات بمختلف أصنافها .
- انخراط العمل الجمعياتي ومساهماته غير المتوازنة وغير المنسجمة بالقدر الكافي مع الأولويات الوطنية والحاجيات الجهوية ومع ما تنجزه الهياكل العمومية من برامج وتدخلات في مجال حماية الطفولة .

التوجهات المستقبلية والأهداف الاستراتيجية

يتركز مشروع الخطة العشرية الثانية للطفولة بما تتضمنه من أهداف واستراتيجيات وبرامج وإجراءات على المبادئ والثوابت الأساسية التالية :

- ترسيخ **مكانة الطفل** باعتبارها أحد التوجهات الجوهرية للمشروع الحضاري والمجتمعي للتغيير .
- تأكيد الالتزام **بمبدأ المصلحة الفضلى للطفل** بتنفيذ المبادئ السامية التي تضمنتها الإتفاقيات والمواثيق الدولية الخاصة بالطفل .
- الحرص على مزيد تشريك الأطفال وأخذ وجهات نظرهم عند اتخاذ القرارات في المسائل التي تخصهم .
- العمل على تجسيم مبدأ عدم التمييز بين الأطفال ، باعتباره قيمة مرجعية في الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل .
- تعزيز دور الأسرة كخلية أساسية في المجتمع والنهوض بقدراتها ووظائفها، باعتبارها تتحمل مسئولية أساسية في تنشئة الأطفال وحمايتهم وضمان نموهم المتوازن وتطوير ملكاتهم ومهاراتهم .

وقد تضمنت هذه الخطة أربع عناصر أساسية ، وهي :

1- المجال الصحي .

2- الميدان التربوي .

3- اليافعون والمراهقة .

4- حماية الأطفال .

وانطلاقاً من ذلك ، فقد حددت المحاور الأساسية التالية كإطار عام لمجموعة من الأهداف الكمية والنوعية .

1- على صعيد البقاء وتأمين بداية طيبة لكل طفل

تتمثل الأهداف المرسومة في هذا النطاق فيما يلي :

- دعم المكاسب المحققة في مجال الرعاية الصحية للطفل .
- تقليص الفوارق فيما يخص توفير الخدمات الصحية ما بين الجهات والوسطين الريفي والحضري .
- تحسين نوعية خدمات الصحة الجسدية والنفسانية والاجتماعية للطفل والمراهق .
- تحقيق التغطية الصحية الملائمة لحاجيات اليافعين والمراهقين ، لا سيما الصحة الذهنية والنفسية والإنجابية ، والوقاية من السلوكيات غير السليمة .
- تعزيز آليات الوقاية من الإعاقة ، وتقليص نسبة المعاقين من 1,5٪ إلى 1٪ .

2- على المستوى التربوي

*** التربية في مرحلة الطفولة المبكرة**

وتتمثل الأهداف الخاصة بتطوير التربية في مرحلة الطفولة المبكرة خلال العشرية المقبلة فيما يلي :

بالنسبة لحضانة الأطفال في سن 0 – 3 سنوات

– تصور وبلورة صيغ وأنماط متنوعة لحضانة الأطفال في سن 0 – 3 سنوات تستجيب لانتظارات الأسرة وتؤمن خدمات تربوية ملائمة لحاجات الأطفال مع اعتبار الاختلاف بين المناطق وتنوع الأوساط .

فيما يتعلق بمؤسسات التربية قبل المدرسية (3 – 5 سنوات)

– الترفيع في نسبة التغطية في مختلف مؤسسات التربية قبل المدرسية (رياض الأطفال ، الكتاتيب ، أقسام السنة التحضيرية) التي يؤمها الأطفال في سن 3 – 5 سنوات .

- تطوير نوعية الخدمات المقدمة بمختلف مؤسسات التربية قبل المدرسية .

*** التعليم الأساسي والثانوي**

تحسين المردودية النوعية والكمية للنظام التربوي من خلال :

- مواصلة تحسين نوعية التعليم .
- تجسيم مبدأ تكافؤ الفرص بين التلاميذ .
- مزيد تعصير النظام التربوي وملاءمته مع المتغيرات التكنولوجية .

*** دعم تربية الأطفال والناشئة على قيم التسامح والاعتزاز بالهوية الوطنية والحضارية والتفتح واحترام الغير وعلى حقوق الإنسان والسلم .**

3- الإحاطة باليافعين

- تطوير مشاركة الأطفال واليافعين بما يتماشى وتطور مؤهلاتهم في الحياة الأسرية والاجتماعية وفي التعبير عن آرائهم في كل المسائل التي تخصهم .
- وضع استراتيجية وطنية تهدف إلى تحسين مردودية المؤسسات والجمعيات العاملة في مجال التنشيط الاجتماعي والتربوي والثقافي والرياضي .

4- الحماية

تهدف الخطة العشرية الثانية إلى توفير فرص متكافئة للأطفال ذوي الاحتياجات الخصوصية ؛ للانتفاع بحماية قانونية واجتماعية شاملة ، بما يمكنهم من مشاركة فاعلة في مسار تنمية المجتمع ، وذلك في إطار منظومة متكاملة ومندمجة في مجال الحماية .

ولتجسيم ذلك ينبغي أن ترتكز استراتيجيات العمل على تحقيق الأهداف التالية :

- ضمان حق كل الأطفال في الحماية بمواصلة وتدعيم المكاسب القانونية والمؤسساتية وتطوير مضامين التشريعات والبرامج والآليات والتدخلات في مجال حماية الطفولة بما يتماشى ومبدأ المصلحة الفضلى للطفل ، وذلك باعتماد الإجراءات .
- تحسين نوعية الخدمات والتدخلات في مجال الحماية .

- ضمان خدمات الحماية للأطفال المهددين بصفة ناجعة وعادلة .
- تطوير الوقاية من ظواهر عدم الاندماج والاستغلال والتهميش وسوء المعاملة والانحراف والجنوح .

الاستراتيجيات والتدابير والإجراءات الداعمة للخطة العشرية الثانية للطفولة

إن الهدف الاستراتيجي لهذه الخطة يتمثل في بلوغ أعلى درجات الرفاه للطفل ، وبهذا الاعتبار فإن العمل على تثمين البرامج الموضوعة والرفع من مردوديتها ، إلى جانب الحرص على استنباط برامج جديدة وتصورات عملية ، يستدعي التفكير في اتخاذ إجراءات عملية ذات صبغة مؤسساتيه وهيكلية من شأنها أن تحقق النقلة النوعية المنشودة، وهو ما تعمل من أجله حالياً الوزارة ، وسيمكن هذا العمل من تحديد البرامج والمشاريع والإجراءات الكفيلة بتحقيق الأهداف الكمية والنوعية التي ستتضمنها الخطة ، هذا إلى جانب تحديد مسئوليات وإسهامات مختلف الأطراف الشريكة في إنجاز الخطة .

إن تنفيذ الخطة يتطلب اتخاذ جملة من التدابير على مستوى العديد من المكونات ذات العلاقة برعاية الطفولة ، من أهمها :

1- على مستوى الاستراتيجيات

- إعداد استراتيجية وطنية لتفعيل دور الجمعيات على المستوى الوطني والجهوي والمحلي في مجال رعاية الطفولة .
- اعتماد مقاربات متكاملة تجمع بين العديد من القطاعات ، وتوظف مختلف الاختصاصات في تدخلاتها ، وتحرص على التنسيق بينها .
- دعم عملية التكوين الأساسي والتكوين المستمر لمختلف الإطارات والأعوان المختصين في مجالات صحة الطفولة والتربية والعمل الاجتماعي ولمختلف المؤطرين للطفولة.
- إرساء منظومة متكاملة للمعلومات حول الطفولة تجمع بين القطاعات ، وترتكز على قاعدة بيانات تمكن من وضع لوحة قيادة قطاعية تتضمن مجموعة مختارة من المؤشرات الهامة وذات الدلالة حول وضع الطفولة .

- مواصلة إنجاز البحوث الميدانية والاستشرافية في مختلف جوانب حياة الطفل الصحية والتربوية والتشريعية والحمائية .
- العمل على إعداد استراتيجية في مجال الإعلام والتعبئة الاجتماعية والتواصل، تستهدف الأسرة والمجتمع المتدخلين في ميدان الطفولة .

2- على مستوى الإجراءات

*** حماية الطفولة**

- وضع برنامج في مجال التكوين المستمر يستهدف مختلف المتدخلين والعاملين في القطاعات المعنية بحماية الطفولة .
- إحداث وحدات تكوينية متخصصة في مجال حماية الطفولة في مستوى شهادات الأستاذية في علمي الاجتماعي والنفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية .

*** الطفل والإعلام**

- اعتبار الإنتاج الإعلامي السمعي البصري الخاص بالطفولة محوراً ذا خصوصية في برامج الإعلام الوطني .
- إحداث شعبة متخصصة في الإنتاج الإعلامي والفني الخاص بالطفولة ضمن المعاهد العليا المعنية ، كمعهد الصحافة وعلوم الأخبار والمعهد العالي للمسرح والفنون الدرامية.

*** الطفل والترفيه**

- الأخذ بعين الاعتبار بحاجيات الطفل في الخطط والبرامج الوطنية للترفيه .

*** الطفل ومجتمع المعلومات**

- إتاحة الفرص المتكافئة أمام جميع الأطفال لضمان حقهم في النفاذ إلى مجتمع المعلومات والتعامل مع آليات الثقافة الرقمية ومضامينها ، باعتبارها أداة أساسية للنماء والتواصل .
- وضع برنامج لتأطير الأطفال المتميزين في مجال الثقافة الرقمية وتكنولوجيات الاتصال والمعلومات ومتابعة م سارهم الدراسي بما يساعد على تمكينهم من البروز كعناصر منتجة في مجتمع المعرفة .